من أنوار العشق الخميني

الشيخ محمد المقداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

(من أنوار العشق الخميني)

من النِّعم الإلهية الكبرى على الأمة الإسلامية في هذا الزمن أن وهبها الله سبحانه قائداً وثائراً حراً وعارفاً مجاهداً وعالماً فقيهاً استطاع أن يعيد البسمة المفقودة إلى شفاه أبناء الأمة، وأن يحيي الأمل من جديد في قلوب أجيالها، بعد عقود طويلة من الظلم والاضطهاد والتسلط الذي مارسه المستعمرون سابقاً والمستكبرون لاحقاً على هذه الأمة وكرامتها ومقدراتها، حيث دنَّسوا أرضها وغرَّبوا إنسانها ونهبوا ثرواتها وخرَّبوا حاضرها وضيَّعوا وحكَّموا فسَّاقها وجُهَّالها وقتلوا عُبَّادها وزهّادها.

إن تلك الشخصية الرائدة هي الإمام الخميني رضوان الله عليه، ذلك الإنسان الذي قرّب إلينا الصور الموغلة في بُعدها التاريخي، صور حياة الأنبياء والأولياء، وصور حياة خاتم النبيين محمد (ص) وأمير المؤمنين (ع) وكل الأئمة الطاهرين (ع)، حيث كنا نقرأ السيرة قبل أن نعيش زمانه، ونتخيل أفعال المعصومين قبل أن نتحسس

حياته، فمعه شعرنا أننا عدنا إلى حيث نبع الإيمان والتقى والورع، إلى الاصالة الإلهية الإسلامية التي لم تلمسها يد العابثين والمنحرفين، ومعه أحسسنا بالأمان والطمأنينة لثبات إيمانه ورسوخ توكله على ربه وثقته بشعبه وأمته، وفي ظل وجوده شعرنا بوقتنا وأحسسنا بقدرتنا ولمسنا مدى ضعف عدونا الذي سيطر على حياتنا بوهم قوته وخيال بأسه، فانكشف بحقيقته الإيمانية وعباداته الربانية ومجاهداته النفسانية كل غشاوات الباطل وكل وساوس الشيطان التي كانت قد سكنت قلوبنا وعشعشت في نفوسنا، فإذا معه نرى الأشياء كما هي ونتعامل معها بحجمها بل لا نقيم لها وزناً.

فقد كشف لنا الطريق وأزاح عن بصائرنا سُحُبَ الردى التي كانت توردنا المهالك، وقادنا إلى حيث نجاتنا وحريتنا، وسار بنا على حيث موطننا الأصلي ومسكننا الحقيقي، ننظر إليه بالقلوب الصافية التي فرغت إلا من التعلق بالله والشوق إليه والرغبة في لقائه، من خلال السعي لإحقاق الحق وإزهاق الباطل من دون أن نخاف في الله لومة لائم أو بأس ظالم أو جبروت مستكبر.

لقد علَّمنا أن الخوف من الله هو القوة الحقيقية، وأن العيش مع الله هو الحياة الحقيقية، وأن العمل في سبيل الله هو العبادة الحقيقية، وأن الجهاد في سبيل الله هو العزة الحقيقية، وأن النجاة عند الله يوم القيامة هو النصر الحقيقي.

به كبرنا وكبرنا جداً، حتى ان أمريكا وإسرائيل صارتا أمام أعيننا صغيرتين جداً فلا نكاد نراهما، لأن الكبير حقاً هو من كان مع الله، ومن كان مع الله فهو لا شك أنه معه، ومن كان مع غير الله فهو الصغير الحقير الذي لا قيمة له ولو كان كبيراً بنظر من هم مثلُه من أسيري الأوهام وطُعْمة التراب الذين يطأطأون له الرؤوس ويدينون له بالولاء خوفاً ورهبة من صنع خيالاتهم ووسوسات شياطينهم.

لقد غَرَفَ الإمام الخميني من نبع الإيمان الصافي، وشرب من ماء الحقيقية المحمدية، وارتوى من غدير الكشف العلوي، وتعمق من الإرادة الحسينية، ونَهَلَ من سيل العرفان السجادي، وصفا عقله من فيض الفقه الصادقي، ورشف الصبر من كظم

الغيظ الموسوي، واغتذى بالزهد من مائدة السلطان الرضوي، وتعلَّم تحمُّل مرارة الأيام من الهاديين العسكريين، ثم ارتبط نياط قلبه وتعلقت روحه بالمنتظر المهدي (عج)، فسعى يُمهِّد له الأرض ويفرش له بساط الخروج بعشقٍ لا حدود له وَوَلهٍ لا مجال لوصفه واتصالٍ لا زوال له.

فحَملَ كلماتِ أجداده يهدُّ بها حصونَ الشرك وقلاعَه، ويقتل بها جحافل الكفر وأتباعه، من أنوارها الساطعة الوهاجة التي لا قدرة لكل قوى الأرض على إطفائها، وكيف تنطفئ وهي التي تستمد النور من خالق النور وواهب النور ونور النور. وانقشع الظلام وزال عتم الليل البهيم، فاستيقظ المسلمون من النوم العميق. لقد صنعت الكلمات النورانية ثورة، وأقامت دولة، وانتصرت الكلمة على السيف، وانتصر الحق على الباطل، والإيمان على الكفر، فعادت الحياة إلى الأمة بعد الموت، وعاد الأمل بعد اليأس، ورجعت القوة بعد الضعف، والتحمت الأمة بعد التمزق، وتوحدت بعد التشتت والتفرق، والفضل كله للكلمات النورانية التي لم يكن يليق بحملها إلا الخميني العظيم كما لم يكن يليق بالتبليغ عن جده الأعظم رسول الله (ص) إلا علي (ع).

وهنا تزلزل المستكبرون، وارتجف الظالمون، وارتعد الحكام الفاسقون، فتجمهروا وتجمعوا وتسلحوا بكيد الأبالسة والشياطين، وحشدوا أسلحتهم وكل آلات الفتك والقتل والدمار، لعلهم بذلك يُسْكتُون الكلمات ويطفئون الأنوار، فسيدهم الشيطان الأكبر الأرضي، والشيطان الجني الزعيم الأول في هرج ومرج، فحملاتهم وهجماتهم سوف تتكسر من الآن فصاعداً عند قوة الكلمات الأكثر قوة وقدرة من الجبال الراسيات، وتبددت أوهامهم وتفرقت جموعهم بعد ما يئسوا من إسقاط الكلمة من عليائها، ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والندامة، فتسفَّهت أحلامهم وطفقوا يضربون وجوههم وأدبارهم، وكلٌ يلقي اللوم على الآخر، وما دروا أن للكلمات سحراً لا عهد لهم به، وأن لها طاقة لا قِبَلَ لهم بها، لأنها كلمات الهداية والحق التي

لم تقدر عليها كل القوى منذ العهد الأول، ولم يقدر عليها أحد عبر التـاريخ، فـأنَّى للأقزام أن يرتقوا إلى علوِّ الكلمات وسمو المضامين.

وهكذا خرست الألسنة عندما نطقت الكلمات وارتفع صوتها بالتحميد والتمجيـد والتهليل والتكبير، وكلما وصل هذا التعظيم إلى الآذان تـسرب منهـا إلـى القلـوب العطشى والنفوس الولهى، وإذا بتلك الكلمات تصنع القنابـل البـشرية لتمـزق بهـا حجب الضلال وأستاره، وتكشف عن ذلة وصغار أولئـك الـذين لـم يقتنعـوا بعـدُ بعجزهم عن قهر الكلمات، فانسلوا فارين هـاربين مرعـوبين ومـا زالـوا إلـى الآن يسمعون تلك الأصوات التي قضَّت مـضاجعهم وآملـتهم فيرجفـون منهـا وتمتلـئ قلوبهم رهبة وخوفاً لا حدود له، فخرجوا مدحورين تلاحقهم أطياف تلـك القنابـل التي صُنِعَتْ بهدي تلك الكلمات، ولم ينتهِ دورُها عند هذا الحد، بـل تعـاظم هـذا الدور وتزايد، وتمكنت أن تصنع مقاومة ضد المغضوب عليهم بنص رب الكلمـات ونورها وهداها الذين توهموا كأسيادهم أنهم انتصروا عليها، فإذا بالمقاومة الإسلامية المصنوعة بهدي الكلمات تدك حصونهم، وتهلك جنـودهم، وتحاصـرهم بـدل أن يحاصروها، وتهزمهم بدل أن يهزموها، وتقتلعهم مـن قـسم مـن الأرض المقدسـة "أرض السائرين في الحياة بنور الكلمات"، وعلى أمل اقتلاعهم من كل الأرض التي أرادوا الانطلاق منها لمحاربة المؤمنين المهتدين بهديها.

ولم تقف الكلمات، بل أكملت سيرها يسبقها نورها لتضيء لأهل بيت المقـدس وما حوله ومن حوله، فجذبهم ذلك النور المنبعث منها كجذب رحيق الزهر للنحـل لصنع العسل الذي فيه شفاء من كل داء، فساروا على هدي ذلك النور ليـشفوا مـن المرض الخبيث الذي حلَّ فيهم ويستأصلوه من جذوره وليرتاحوا منـه إلـى الأبـد، وتكرر المشاهد نفسها والنتائج ذاتها والأساليب هي، لأنها جميعاً من إشـراقة تلـك الأنوار الربانية المنبعثة من نفس المصدر والسائرة نحو المقصد ذاته.

وهنا أيضاً يقف كل أولئك المعاندين للكلمات وكل المستكبرين في الأرض سكارى وما هم بسكارى، لكن أفعال المهتدين بالنور سكرتهم وجعلت حيارى لا يدرون ما يفعلون.

فأرسلو بطلب اللاهث والباحث عن النعيم الزائل (أطفئ الأنوار التي تضيء درب هؤلاء الذين سفَّهوا آلهتنا وأفسدوا علينا متعة أحلامنا وأقلقوا راحتنا)، فانبرى هذا بتوهم أنه يحمل الدواء لداء أولئك الذين استضاؤوا بالنور، وأنه بتراثه سوف يسيطر ويهيمن ويحقق الأمل الذي كان ينتظر ويقر عيون الذين تصدَّقوا عليه بما هو حق لشعبه وتراث لأمته، إلا أن المؤمنين المستنيرين لا يُلْدَغون من الحجر مرتين فكشفوا باطله، وفضحوا شيطنته، وأذلوا كبرياءه، وأظهروا عجزه، عن أن يكون قائداً لأمثالهم، وهم الذي أبدلوا الأوهام التي كانوا عليها بالحقيقة المطلقة.

وهكذا راح النور المنبعث الذي لا يمكن حصره ـ بل لا يقدر عليه أحد ـ يتمدد أكثر، ومع تمدده يكثر المستنيرون، فتحولوا إلى تيار هادر سوف يجرف في طريقه إن شاء رب الكلمات كل الباطل والكفر والفساد لتشرق الأرض من جديد بنور ربها، ولتكون كلمة الله هي العليا.

أيها الراحل الكبير، إنك لم ترحل ولم تغب، ما زلت فينا وبيننا تهدينا وتنير دربنا، أنت الذي حملت نور الكلمات في قلبك فأشرق فيه وانطلق منه ليضيء المساء المظلمة والأرض المعتمة.

لن يخبو ذلك النور، وإنما سيزداد لمعاناً وإشراقاً وقوة ليمحو الظلام كل الظلام على يد ولي الله الأعظم (عج) الذي مهدت لخروجه بثورتك وقيادتك.

الشيخ محمد توفيق المقداد

مدخل إلى خط الإمام "قده"

المقدمة

يكتسب الحديث عن الإمام الخميني "قده" ميزة خاصة كونه الوحيد من سلسلة طويلة من الفقهاء من استطاع تحطيم الحواجز والموانع، "والوصول بالشريعة الإسلامية إلى مرحلة العمل والتطبيق في دولة" تقوم على أساس "الإيمان بالله والتوكل عليه" وتستمد تشريعاتها من "كتاب الله وسنة ونبيه (ص)".

وقد تجاوز الإمام "قده" الواقع الذي أفرز قديماً وإلى عهد قريب "من أن الفقهاء لا يعتبرون العمل السياسي جزءاً من عملهم ونشاطهم.."، ولهذا كانت الفتوى المعتمدة عند الأكثرية وباعتراف الدولة الإسلامية (ودليلهم هو.. عنوان ثانوي... مستنبط من تجارب حدثت في عهد الأئمة (ع) وعمدتها "ما جرى مع أمير المؤمنين والإمامين الحسن والحسين (ع)، ومع زيد بن علي ويحيى بن زيد" ومفاد هذا الدليل (إن الناس التي تقاعست عن نصرة الأئمة وأبنائهم لن تتوانى عن خذلان الفقهاء وهم دون الأئمة وأبنائهم في الإيمان والمرتبة الاجتماعية).

لهذا يعتبر الإنجاز الضخم وهو.. "انتصار الثورة وإقامة الدولة" فتحاً مبيناً، لأنه استطاع أن يزيل من أمام فقهائنا الأجلاء عقبة كبرى كانت سبباً لجمود النشاط والعمل من أجل إقامة دولة الإسلام على امتداد قرون متمادية، ولهذا قال الفقيه نفسه حول هذا الإنجاز (إن الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه قد أثبت بطلان المقولة التي استند إليها الفقهاء كعنوان ثانوي للحكم بعدم وجوب إقامة الدولة الإسلامية، وأن الناس يمكن أن تثور وتقوم وليست في معرض التراجع والانهزام دائماً).

ولا شك أن شخصية الإمام "قده" قد لعبت دوراً عظيماً جداً في الوصول إلى هذا الإنجاز، من هنا كان لابد من الرجوع إلى السيرة الذاتية والعملية للإمام "قده" التي أكسبته ثقة الجماهير فوقفت معه وإلى جانبه، وأعطته بلا حساب من دمها ومالها وجهدها، ولم تبخل عليه وكانت وفية له يوم رحل إلى الله سبحانه، وتدفقت

بالملايين شعوراً منها بفقدان الأب الرحيم والقائد الملهم الذي أنقذها من كل الأخطار التي كانت تهددها، وأعلى شأنها فرفعها من موقع الذلة والخنوع أمام الآخرين إلى موقع العزة والكرامة والشرف، وجعلها تحس وتشعر بقيمتها الإنسانية، وأن تدافع عن كل ما طرحه الإمام "قده" من قضايا أساسية ومصيرية.

إن كل الشعوب والجماهير التي ما زالت تعتبر أن الإمام "قده" هو ملهمها وباعث قوتها وسر عظمتها، هي بأمس الحاجة إلى معرفة خط الإمام ونهجه، ليبقى هذا الخط بكل مفرداته المستمدة من روح الشريعة الإسلامية ونصها الدستور الأساس لمسيرتها، والعنوان الأكبر بجهادها واستمرارها في خط البناء الذاتي وفي خط المواجهة لقوى الاستكبار العالمي وعلى رأسها أمريكا وربيبتها جرثومة الفساد "إسرائيل الغاصبة".

فالإمام "قده" الذي لم يبخل على الأمة الإسلامية وعالم المستضعفين كله بشيء، وجعل وجوده كله وحياته كلها في خدمة هؤلاء، ليس كثيراً عليه أن تعيش الأمة والمستضعفون حالات الوفاء له بالاستمرار على السير في خطه ونهجه وتستلهم منه ما يزيد من قوتها وعنفوانها ووقوفها بوجه الظالمين المستبدين.

لهذا سوف تركز المقالات القادمة للحديث عن مفردات خط الإمام "قده"، لتكون الصورة واضحة أمام جميع الذين يجاهدون بالسلاح والمرابطة، أو بالكلمة والموقف في مواجهة أعداء الله والإنسانية جمعاء.

والحمد لله رب العالمين

شمولية الطرح الإسلامي

الإسلام هو الدين الشامل لكل الأبعاد التي تنهض بالحياة البشرية وتبنيها وفق النظرة الإلهية، فهو يشتمل على البعد الغيبي من خلال الارتباط بالله سبحانه من خلال التشريعات الكثيرة التي تضبط حركة المسلم.

وهو يرى أن الترابط بين هذين البعدين الشاملين لكل حركة الإنسان لابـد منـه؛ بحيث لا يمكن الأخذ بأحدهما دون الآخـر، ويـؤدي ذلـك إلـى الانحـراف عـن الأهداف التي وضعها الإسلام. انطلاقاً من ذلك طرح الإمام الخميني (قده) الإسـلام ككل لا يتجزأ، ولا يمكن الأخذ بجانب منه وترك الجوانب الأخرى، يقول: "الـذي يكون عارفاً بالإسلام عليه أن يعرف هذين المطلبين وهاتين الجهتين: الجهة العرفانية الخالصة، والجهة الظاهرية التي تهتم بمسائل المجتمع؛ فالذي يريد أن يعرف الإسلام حق المعرفة من خلال الآيات والروايات والأحكام التي وردت، والتي تهتم بالناحية المعنوية والعرفانية، يجب أن يعرفه قدر الإمكان أيضاً من خلال الآيات والروايـات والأحكام التي وردت من أجل تنظيم أمور المجتمع ومـن أجـل الأمـور الـسياسية وأمور الحكومة. فمعرفة الإسلام إذن هي التعرف على الإسـلام بكلتـا جهتيـه فـي حدود معرفة الإنسان وفهمه".

وهكذا نرى أن الإمام (قده) يعتبر أن الاطلاع على الإسلام بشكل واسع ومفـصل ودقيق هو الذي يساعد على توضيح الصورة الشمولية للطرح الإسلامي حتى لا يقع في محذور تفكيكها.

وهو (قده) يستنكر على من درسوا جانباً من الإسلام وفي مجال محدد، ثم يـأتي هؤلاء لينسبوا نسب الخبرة والمعرفة بالإسلام لأنفسهم، ومن ثم رمـي هـذا الـدين بالجهل والتخلف، بحثاً عن تحقيق مكانة ما عند الجماهير لأنفسهم، واستغلالها فـي الترويج لما يريدون، مع ما يشكله هذا مـن الخطـر الكبيـر علـى شـمولية الطـرح الإسلامي وتوجهات الأمة المسلمة. يقول الإمام (قده) في هذا المجال: "... إن مـن يؤلف كتاباً أو يكتب مقالة في الإسلام لا يستطيع أن يقول انه خبيـر فـي الإسـلام، وفي الوقت نفسه يقول عن أشخاص عاشوا سبعين أو ثمانين سنة من عمـرهم فـي الإسلام بأنهم لا يعرفون الإسلام"!

ثم يستنكر الإمام (قده) على أولئك الذي يريدون التعرف على الإسلام من خلال كتابات المستشرقين التي لا تخلو في الغالب من الترويج لفكر المستعمر الغاصـب،

ويبين خطر هؤلاء على الإسلام كدين وأمة فيقول: "يقولون نحن خبراء في الإسلام، في الوقت الذي لا يطلعون فيه على كتبنا، إنهم لا يعلمون الإسلام حتى يكونوا خبراء فيه... هم ليسوا مطلعين على معارف الإسلام، وإذا أرادوا ذلك فمن خلال كتابات الغربيين التي ينقلونها إلينا، فإذا بالغربيين يصبحون خبراء في الإسلام! الإسلام الذي يعرفوننا عليه هم"!

ثم يتعرض الإمام (رض) لخطر آخر من أخطار تفكيك شمولية الطرح الإسلامي، وهو خطر الأخذ بجزء من الإسلام وضمه إلى عقيدة خارجة عنه، ثم تطبيقها على أنها من الإسلام أو لا تتعارض ولا تتنافى معه، وفي هذا يقول (قده): "وفي الوقت الذي نفهم فيه أنهم يريدون تطبيق الإسلام حسب الماركسية، فإن هذا سوف يشكل خطراً على الإسلام. إذن يجب أن تنتبهوا جميعاً لهذا الخطر وان تعملوا بجدية لرفع هذا الخطر، فإن الهزيمة من العدو ليس لها أهمية، وخطورة الهزيمة من الداخل".

من خلال هذه النصوص يمكن أن تتشكل لدينا صورة واضحة لمعالم حماية الطرح الإسلامي الشامل عند الإمام (قده):

أولاً: أن شمولية الطرح الإسلامي أمر حتمي لا يمكن التنازل عنه لأنه صياغة إلهية ولا يمكن التلاعب بها بأي نحو من الأنحاء.

ثانياً: أن تفكيك هذه الشمولية لا يوصل إلى الأهداف المنشودة.

ثالثاً: أن المعرفة المحققة للإيمان بشمولية الطرح الإسلامي يجب أن تستند إلى المصادر الأساسية للشريعة وهما "القرآن والسنة".

رابعاً: لا يمكن لمن عرف جانباً معيناً من الإسلام أن يقدم نفسه على انه عارف خبير بالإسلام الشمولي وغاياته، والمدعي لذلك مخطئ ومنحرف.

خامساً: لا يمكن أخذ المعرفة بالإسلام عن طرق غير الإسلاميين من الذين يشوهون معارفه بطريقة تخدم أهدافهم ومآربهم.

سادساً: لا يمكن تحقيق الأهداف الإسلامية عبر إلباس جزء من عقيدة غير إسلامية لباساً إسلامياً وتقديمها على أنها من الدين، لأن هذا الخليط هو انحراف ويشكل خطراً كبيراً محدقاً بالإسلام وتوجهاته وأهدافه.

وبهذا الطرح الشمولي للإسلام انطلق يتحرك ويوضح للأمة أن هذا الدين الإلهي العظيم هو المؤهل لبناء صرمها الإنساني الكبير الذي تحقق فيه ذاتها ووجودها وفاعليتها، وقبل كل هذا ومعه رضا الخالق العظيم تبارك وتعالى.

والحمد لله رب العالمين

مبدأ ولاية الفقيه

لابد من الإشارة أولاً إلى أن مبدأ ولاية الفقيه أصل ثابت في الشريعة الإسلامية، وذلك لأن الولاية للفقيه هي الامتداد الطبيعي بحكم منطق التسلسل إلى ولاية الأئمة (ع) وولاية النبي الأعظم (ص)، ومن ذلك الأصل الثابت تستمد ولاية الفقيه موقعيتها الريادية وقوتها في إلزام المسلمين بالطاعة للولي الفقيه، ولهذا يقول الإمام الخميني "قده" عن هذه المسألة ما يلي (إن ولاية الفقيه هدية قد أعطاها الله تبارك وتعالى للمسلمين)، ومن هنا يستنكر الإمام أشد الاستنكار على أولئك الذين يقولون بعدم وجود ولايةٍ للفقيه في الإسلام ويقول (الذين يقولون إنه لا يوجدنا عندنا في الإسلام ولاية الفقيه، ليسوا مطَّلعين ما داموا يقولون هذا. إن ولاية الفقيه كانت وما تزال منذ زمن رسول الله (ص) وحتى الآن).

ثم ينتقل الإمام "قده" يوضح أن منشأ هذه الولاية هو الله عز وجل، وهي ليست من مخترعات البشر أفراداً وهيئات، كالمراجع مثلاً أو مجلس الخبراء، بل هي الولاية التي أعطاها الله لرسوله (ص) أولاً ثم من بعده للأئمة (ع)، ثم في عصر غيبة ولي الله الأعظم (عج) للفقهاء الذين ينوبون عن الحجة بإدارة شؤون الأمة.

بعد هذا يوضح الإمام "قده" أن الولاية للفقيه لا تعني التسلط أو الديكتاتورية والقهر لإرادة المجتمع، بل هي لمحاربة أي نوع من أنواع القهر والطغيان، لأنها عبارة

عن الميزان الذي يضع الأمور في مواضعها الصحيحة من خلال حركة الإشراف الدقيق على كل إدارات الدولة الإسلامية وشؤون المجتمع الإسلامي لكي تتحقق عملية الضبط من جهة، وتتكامل الحركة ما بين الدولة والشعب لتسير قدماً نحو الأهداف العليا للإسلام، وفي هذا يقول الإمام (قده) (ليست ولاية الفقيه شيئاً أوجده مجلس الخبراء، إن الله تبارك وتعالى هو الذي أوجد ولاية الفقيه، وهي ولاية رسول الله (ص)... لا تخافوا من ولاية الفقيه... ليست ديكتاتورية، نحن نريد أن نقف بوجه الديكتاتورية، ولاية الفقيه إنما هي الولاية على الأمور بحيث أنها لا تسمح لها بأن تخرج عن مجاريها، ولاية الفقيه تراقب المجلس، وتراقب رئيس الجمهورية لكي لا يخطو خطوة خاطئة، وتراقب رئيس الوزراء لكي لا يقوم بعمل خاطئ، تراقب كل المؤسسات، تراقب الجيش لكي لا يرتكب عملاً مخالفاً).

ثم يعطي الإمام "قده" مثلاً من إعمال الفقيه لولايته فيقول "قده" (في نفس الوقت الذي احترم فيه الشارع المقدس الملكية، فإن ولي الأمر يستطيع أن يحد هذه الملكية المشروعة بحد معين وتصادر من صاحبها بحكم ولي الفقيه حين يرى أنها مخالفة لمصلحة الإسلام والمسلمين).

ومن أجل هذا يرى الإمام "قده" أن أصل ولاية الفقيه مقدَّم على كل الأحكام الفرعية حتى تلك المتعلقة بربط المؤمن بربه في مجال العبادات كالصلاة والصوم والحج، وذلك نظراً للدور الذي يلعبه هذا الأصل في حياة الأمة ويقول (يجب أن أقول إن الحكومة التي هي فرع من الولاية المطلقة لرسول الله (ص)، إنما هي واحدة من الأحكام الأولية للإسلام ومقدمة على كل الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم...).

من هذه النصوص المتفرقة عن الإمام الخميني "قده" يتضح أنه ينظر إلى ولاية الفقيه على أنها الأصل والمحور الذي تدور حوله كل أحكام الإسلام، وبعبارة أخرى فإن ولاية الفقيه هي المظهر العملي لتطبيق الشمولية في الطرح الإسلامي على أرض

الواقع، حتى لا يصاب هذا الطرح من دون المرجعية القائدة والمتولية إلى إفراط أو تفريط أو انحراف لا سمح الله عن الأهداف والغايات.

لهذا يمكن القول إن الولاية للفقيه هي الضمانة الأكيدة في شرعنا الإسلامي المقدس، خصوصاً مع ملاحظة المواصفات المطلوبة والمحددة في النصوص الواردة والمفروض تحققها في شخص الولي الفقيه كضمانة على حسن التطبيق ومنع الانحراف والابتعاد، وحسماً للقرارات عند تعدد الآراء وتضارب الأفكار والمقترحات.

فالولي الفقيه من موقعيته القيادية ومرجعيته الأساسية للأمة في كل ما يهم شؤونها العامة في المجالات المختلفة هو المصوِّب والمصحح للمسار وهو العين الساهرة والرقيبة على الأمة، ومن هذا الموقع يكتسب الفقيه معها طاعة الأمة له، كما كان ينبغي عليها أن تطيع النبي (ص) والأئمة (ع).

من كل ما سبق نجد أن الإمام "قده" يؤكد على ضرورة أن يقوم كل العلماء ـ بالخصوص منهم أئمة الجمعة والجماعة الذي هم على تواصل مع القاعدة الإسلامية العريضة ـ بواجب تثقيف الأمة وتنوير أذهان الناس حول أهمية هذا الأصل الثابت الذي به ومن خلاله تسير الأمة نحو الأهداف المرسومة لها إلهياً بخطى ثابتة لا تزلزل فيها، وفي هذا المجال يقول "قده" (آمل من أئمة الجمعة أن يتابعوا مسألة ولاية الفقيه المطلقة، وأن ينوروا الأذهان غير المطَّلعة في خطب الجمعة، وأن يقطعوا لسان أعداء الإسلام).

والذي يمكن استنتاجه من هذا العرض كله:

أولاً: أن ولاية الفقيه ليست بدعة، بل هي من الأصول الثابتة في الشريعة لأنها الامتداد لولاية النبي (ص) والأئمة (ع)، والنائبة عن الإمام الحجة (عج) زمن الغيبة.

ثانياً: هي القائدة والمتولية للإشراف على حسن تطبيق شمولية الطرح الإسلامي.

ثالثاً: هي التي تحدد الأولويات وتصدر القرارات لتنفذها الأمة في كل المجالات.

رابعاً: هي التي تتصدى لمنع الانحرافات أو الابتعاد أو الخطأ في تصرفات المسؤولين الأساسيين عن تطبيق النظام الإسلامي.

خامساً: وجوب طاعة الأمة لأوامر الولاية لأنها المؤتمنة على مصير الإسلام والأمة.

لهذا كله لا يمكن إنكار ثبوت هذا المبدأ في الإسلام، بل هو من ضرورات شمولية الطرح الإسلامي، لأن هذه الشمولية يمكن أن تتعرض للتفكيك في حال عدم الإيمان بهذا الأصل الذي يرعى حركة التطبيق للشريعة في أرض الواقع ليعطي لكل نوع من أنواع حركة الأمة القرار الذي يتوافق مع المصالح العليا للأمة ويجنبها الوقوع في المفاسد والأضرار.

والحمد لله رب العالمين

الوظيفة زمن الغيبة

الإيمان بالإمام المهدي (عج) مما لا شك فيه عند عموم المسلمين الذي يخرج في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً، وهو من نسل النبي (ص) مع المشابهة في الاسم أيضاً، وإن كان هناك اختلاف بين المسلمين مع حيث القول بولادته وعدمها، إلا أن هذا لمقدار من الخلاف يبقى نزراً يسيراً من التفاصيل المتفق عليها.

ولا ريب أيضاً أن الحكومة الإلهية التي ستشكل على يدي الإمام المنتظر (عج) هو حكومة الحق والعدل في عموم الأرض لتكون نهاية الحياة الإنسانية بالصورة الجمالية المشرقة التي كان ينبغي أن تعم كل تاريخ الوجود الإنساني لولا الظلم والجور اللذان طغيا على هذه المسيرة عبر العصور فأديا إلى انحرافها وابتعدها، مما أدى إلى ضرورة وجود المنقذ العام للبشرية ليعيد تكوين تلك الصورة المرسومة إليها.

فالحياة الإنسانية بما أنها عطاء إلهي متميزة ومحتاج إلى الرعاية الدائمة والعناية المستمرة، فقد كان خط النبوة هو المعهود إليه القيام بهذه المهمة لكي يمارس عملية التذكير الدائم والإرشاد إلى الله العلي القدير، باعتبار أن الإنسان مجبول من مادة وروح وقد تشده الحياة الدنيوية بما فيها من لذائذ ونِعَم إليها فيحتاج بالتالي إلى من يتعهده بنحو الدوام، وهنا كان الدور الأكبر للأنبياء (ع) في هذا المجال المهم والعظيم.

وبما أن خط النبوة قد اختتمه الله عز وجل بحبيبه محمد (ص)، فقد قام خط الإمامة بأداء المهمة نفسها استمراراً لخط الرعاية الإلهية، إلا أن ظلم البشر المتحكمين لمسيرة الإنسان والخوف الذي نشره بين الناس أدى إلى التقاعس عن نصرة الخط الإلهي ومحاربة أوليائه والداعين إليه، مما اضطر كل هذا بالتالي إلى تغييب ممثل خط الإمامة عن الأنظار بإرادة إلهية إلى أن تجيء اللحظة المناسبة لخروجه ليعيد ترتيب الوضع الإنساني برمته وتصحيح مسيرته.

إلا أن هذا التغييب حتى لا يكون فجائياً لأن الفجأة ذات مخاطر لا يستهان بها على مستوى المؤمنين والملتزمين كان لابد من اتِّباع منهجية تراتبية يتعود فيها الناس على غياب الإمام، ولهذا كان الغيبة الصغرى بسفرائها الأربعة هي المرحلة التمهيدية لتعويد الناس على الرجوع إلى الإمام والارتباط به من خلالهم.

ثم بعد تحقق الغاية من مرحلة التمهيد بدأت مرحلة الغيبة الكبرى التي ما زلنا نعيش فيها وستبقى مستمرة إلى لحظة خروج الإمام (عج) بإذن الله تعالى.

والسؤال المهم هنا هو: ما هو واجبنا في زمن الغيبة الكبرى؟ هل نعقد منتظرين الخروج؟ أو نقوم بتكليفنا للتمهيد لظهور الإمام (عج)؟.

البعض اعتبر أن غياب الإمام (عج) قد أسقط تكليفنا بوجوب الجهاد والسعي لإقامة الحكومة الإسلامية، وأن علينا ترك الأمور تجري في الاتجاه السلبي في الحياة الإنسانية ليعم الظلم والجور، ويتحقق بذلك الموضوع لظهور الإمام وهو الذي يتكفل بالباقي وفق الوظيفة الإلهية المقررة له.

الإمام الخميني "ره" يعتبر أن هذه النظرة السلبية عن مرحلة الغيبة الكبرى هي انحراف أكيد عن الإسلام ومفاهيمه، ويقول في هذا المجال (وهناك جماعة أخرى من العلماء المزيفين الذين كانوا يفصلون الدين عن السياسة قبل الثورة... حتى الأمس اعتبروا بيع المشروبات الروحية والدعارة والفسق وحكومة الظلمة مفيدة وممهدة لظهور إمام الزمان (أرواحنا فداه)، في الأمس كان الحجتيون يحرفون الجهاد...).

ويرى الإمام "قده" أن مرحلة الغيبة هي مرحلة العمل والسعي والجهاد من أجل تشكيل الحكومة الإلهية، وأن هذا الواجب لم يسقط عنا بفعل "الغيبة" بل هو تكليف مستمر وثابت، إلا أن زمن الحضور يجعله من مسؤولية الإمام المعصوم (ع) فقط وليس الفقهاء أو المسلمين عموماً، ويقول في هذا الخصوص (فيجب أن نلاحظ مع الانتظار تكليفنا الشرعي الفعلي والإلهي...)، وكذلك (والآن فنحن المنتظرون لقدومه المبارك مكلفون بأن نسعى جهدنا لنحكِّم قانون العدل الإلهي..).

بل يعتبر الإمام "قده" أن مرحلة الانتظار هي مرحلة التهيؤ والاستعداد والعمل لتوفير الظروف المناسبة لعالم الظهور، ويقول في هذا المجال (إن ثورة إيران الإسلامية... في حالة توسع... وإن بسطها سوف يعزل القوى الشيطانية... ويهيء الأجواء لإقامة حكومة المستضعفين والحكومة العالمية للإمام المهدي صاحب الزمان (عج)).

ثم يترقى الإمام "قده" أكثر من ذلك حيث يعتبر أن الدولة الإسلام هي دولة الإمام المنتظر (عج)، وفي هذه إشارة واضحة على أن الدولة تدار بالوكالة عنه (عج) زمن غيبته، وفي هذا يقول الإمام "قده" (ونحن المنتظرون لقدومه الميمون علينا اليوم، أن نسعى بكل طاقتنا ليسود قانون العدالة الإلهية في دولة صاحب العصر هذه وكذلك اليوم يظلكم الإسلام، وإمام العصر ينظر إليكم).

من كل هذا الجو نجد أن الارتباط بالقائد الفعلي الحقيقي للأمة متميز عند الإمام الخميني "قده"، وهذا التميز كان عاملاً من العوامل الشديدة التأثير في حركة الإمام

وثورته، لأنه كان يعتبر أن عملية التنوير والاستنهاض تقرب المسافة الفاصلة عن زمن ظهور الإمام (عج) لإنقاذ البشرية من عذابها وألمها.

والمستفاد من علاقة الإمام الخميني "قده" بالإمام المهدي (عج) أمور هي:

أولاً: حركة الانتظار بمعناه السلبي وترك الواقع الإسلامي والإنساني للمنحرفين.

ثانياً: الانتظار الإيجابي معناه ضرورة التزام تكاليف الإسلام جميعاً لأنها لا تختص بزمن حضور المعصوم (ع) خاصة في الجوانب السياسية والقيادية.

ثالثاً: التمهيد لظهور الإمام (عج) وتهيئة الظروف المساعدة للتعجيل في الفرج.

رابعاً: اعتبار الدولة الإسلامية أنها دولة الإمام نفسه، وإن كانت تدار في زمن غيبته من خلال نائبه.

ولا شك أن للعلاقة بين المسلمين وبين الإمام المنتظر (عج) فوائدها الكبيرة جداً على المستويات الإيمانية لأنها تدفع بالمؤمنين إلى ارتقاء مراتب السمو الإنساني من حيث التعلق بالله والارتباط به.

وعلى المستويات العملية والحركية حيث تدفع بالمؤمنين إلى زيادة الجهاد والسعي من دون ملل أو كلل في سبيل تقريب المسافات الزمنية الفاصلة عن زمن الحضور والظهور للإمام (عج).

والحمد لله رب العالمين

مسؤولية العلماء

من الواضح جداً أن الولي الفقيه الذي ينطلق من "ولاية الفقيه" ليجسدها في واقع حياة الأمة هو نتاج الخط العلمائي العام، هذا الخط الذي أُنِيْطَتْ به مهمة القيام بأعباء الرسالة الإسلامية من حيث التوجيه والوعظ والإرشاد من جهة، ومن حيث الوقوف والمحاربة والتصدير للانحرافات وحملات التشكيك ومؤامرات الأعداء ضد الدين والأمة الملتزمة به من جهة أخرى.

وهذه الموقعية الريادية للخط العلمائي ليست جديدة في حياة الأمة الإسلامية، وإنما هي استمرار لتاريخ بدأ منذ رسول الله (ص) الذي أوضح هذه الموقعية في العديد من النصوص الواردة عنه، ومن أبرزها في هذا المجال "العلماء ورثة الأنبياء" و"مجاري الأمور بيد العلماء".

وهذا يعني أن هذه الفئة التي تصرف أعمارها وطاقاتها في دراسة الإسلام وفهم أحكامه ومعرفة طرق استنباط الأحكام الشرعية لتطبيقها من جانب أبناء الأمة هي الفئة الأقدر من غيرها على تشخيص مصالح الأمة ومفاسدها، والأقدر بالتالي على صياغة الحلول بالطريقة التي تحفظ المسار العام للأمة من السقوط والانهزام أو التراجع، إلا أن أداء هذه المهمة يتوقف على التفاعل والتلاحم من جانب هذا الخط العلمائي مع كل الواقع القائم إسلامياً وعالمياً حتى تكون عملية قيادية هذا الخط للتحرك قيادة واعية رشيدة تستطيع أن تلبي طموحات المسلمين نحو الاندماج في عمق الحركة العالمية مع الحفاظ على الهوية والاصالة معاً.

كما ينبغي لهذا الخط العلمائي طالما أنه المؤهل الأبرز لاستلام زمام الأمور التمتع بالمواصفات الإيمانية والأخلاقية الرفيعة والسلوكية المنضبطة بالقيود الشرعية لإشاعة الاطمئنان الذاتي عند الجماهير المسلمة التي تنقاد لهذا الخط التزاماً بالنهج الإسلامي المحمدي، إلا أن هذه الجماهير تريد أن ترى وتلمس لأنها لا تعطي الثقة مجاناً، وإنما تمنحها لمسار عملي تلمس فيه جهاداً وتضحية واستبسالاً في الدفاع عن مصالحها ودينها، وعلى هذا الأساس تمنح الثقة أو تمنعا.

كما تتطلب هذه المهمة الملقاة على عاتق الخط العلمائي التواصل المستمر مع الجماهير، إذ لا يكفي حمل قضاياها من دون ذلك، فالتواصل يؤمن الاحتكاك المباشر بالقضايا التي تهم حياة الناس وتساعد على فهم الواقع بنسبة أكبر من المصداقية والشفافية التي تعين كثيراً في تحديد نوع العلاج وطريقته.

من هنا نجد أن الإمام الخميني (قده) يعتبر هذه الأمـور التـي ذكرناهـا القاعـدة الأساس التي يجب على العلماء والفقهاء أن يسيروا عليها لكي لا تفلت الأمور مـن الزمان ولتبقى مسيرة الأمة منضبطة ومحكومة للشرع الإسلامي المقدس.

ولهذا نرى التأكيد المتواصل من الإمام (قده) على ضـرورة أن تتنبـه الحـوزات العلمية ـ التي هي المصدر الأساس لإنتاج العلماء والمبلِّغين وقادة الفكـر والـرأي الدينيين ـ لهذه الأمور وتسعى لبناء العلماء القادرين على القيام بهذه المهام الصعبة والمكلفة من ناحية الجهد والتعب المبذولين للتمتـع بـالمؤهلات المطلوبـة علميـاً وسلوكياً.

وقد ترك لنا الإمام "قده" في هذا المجال نصوصاً كثيرة يمكن للمـرء أن يرجـع إليها لتكوين صورة شبه تفصيلية عن نظرته إلـى دور الحـوزات والعلمـاء بـشكل أساس ومنها: (يجب أن يتحلى المجتهد بالبراعة والذكاء والفراسة لقيـادة المجتمـع الإسلامي الكبير، وحتى غير الإسلامي، وبالإضافة إلى الخلوص والتقوى والزهـد... ينبغي أن يكون واقعاً مديراً ومدبراً)، وكذلك يقول "قده" (ما لـم يكـن للروحانيـة حضورها الفعال في جميع المسائل والمشكلات فلن تستطيع أن تدرك أن الاجتهاد المتعارف لا يكفي لإدارة المجتمع)، وكذلك (يجب أن يكون المجتهد محيطاً بأمور زمانه... ومعرفة كيفية مواجهة حيل وتزويرات الثقافة المسيطرة على العالم، وامتلاك البصيرة والرؤية الاقتصادية، معرفة السياسات وحتى الـسياسيين وتعليمـاتهم التـي يملونها... كل ذلك من خصائص المجتهد الجامع). وكما نرى بوضـوح مـن هـذه النصوص كيف ينظر الإمام "قده" إلى العالم القائد الولي للمسلمين، ومـن نـصوصه في مجال الدعوة إلى الأخلاق عند العلماء (ومن أهم وأسمى العلـوم التـي يجـب تعميم تدريسها ودراستها هي العلوم المعنوية الإسلامية، كعلـم الأخـلاق وتهـذيب النفس والسير والسلوك إلى الله ـ رزقنا الله وإياكم ذلك ـ ففيه الجهاد الأكبر).

وفي مجال التواصل مع الجماهير لإرشادها وحمايتها يقول الإمام "قده" (الذين ـ يعني العلماء ـ واصلوا الزحف حتى اكتشاف حقيقة التفقه، وصاروا بذلك منـذرين

صادقين لقومهم وشعبهم، تشهد بصحة كل فقرة من حديث صدقهم قطرات دمهم والقطعات المتشظية من أبدانهم)، وكذلك (منذ مئات السنين وروحانية الإسلام سند المحرومين، ولقد ارتوى المستضعفون دائماً من كوثر المعرفة الزلال للفقهاء الأجلاء...)، وكذلك (إن الروحانيين الملتزمين بالإسلام تقيدوا دائماً عبر التاريخ الطويل وفي أقسى الظروف... بتعليم الأجيال وتربيتها وهدايتها).

ومن كل ما سبق يمكن استجلاء نظرة الإمام "قده" إلى الفقه الإسلامي وهي (أن الفقه هو النظرية الواقعية والكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد) ووظيفة العلماء هي استنباط تفصيلات تلك النظرية لكل مفردة من مفردات الحياة وفي أي مجال من المجالات التي تهم الحياة البشرية ومن دون أي استثناء كان.

ولهذا يمكن القول إن مسؤولية العلماء والحوزات لها حيز مهم وكبير في خط الإمام "قده" نظراً للموقعية والدور الأساسيين لهذا الخط في حياة الأمة. وما يمكن استخلاصه من نتائج مسؤولية العلماء هو التالي:

أولاً: الوعظ والإرشاد والتبليغ والدفاع عن الإسلام والمسلمين عقائدياً.

ثانياً: التواصل المستمر مع الجماهير والاحتكاك بها دائماً بلا انقطاع.

ثالثاً: حمل قضايا الإسلام والأمة في مواجهة الظالمين والمستبدين.

رابعاً: التحلي بالمواصفات الأخلاقية أو السلوكية الممدوحة من الله والناس.

خامساً: الاستيعاب الجيد للحركة السياسية العالمية لفهم كيفية التعامل معها.

سادساً: عدم الرضوخ أمام الظروف الصعبة ولو أدى ذلك إلى القتل والاستشهاد.

وينبغي أن نلفت النظر أخيراً إلى أن هناك تفصيلات كثيرة للإمام "قده" حول مسؤولية العلماء إلا أننا قصرنا الكلام على البعض الأساسي فقط.

والحمد لله رب العالمين

شخصية النبي (ص) عند الإمام "قده"

(أهنئ المستضعفين والمحرومين كافة وجميع شعوب العالم وخصوصاً المسلمين عامة بالميلاد السعيد الميمون والهجرة المباركة لخاتم الأنبياء وأفضل المرسلين (ص) الذي أصبح مبدأ النهضة الإسلامية الربانية ومصدر نشر العدالة وثقافة الإنسان ومؤسس حركة القضاء على أسس الظلم والإساءة، والرقي بمنزلة الإنسان العليا، والهجرة عن جميع المظالم والصفات الشيطانية والحيوانية الاتجاه نحو النور المطلق ومنبع الكمال ومؤسس الأمة والإمامة).

يختصر هذا النص المهم جداً عن الإمام الخميني "قده" شخصية النبي الأكرم (ص) من خلال ذكر المواصفات الأساسية والأهداف الإلهية الكبرى التي سعى رسول الله (ص) من أجلها طيلة حياته الشريفة لتصبح عقيدة ومنهاج حياة للبشرية الباحثة عن العدالة والأمن والفضائل.

ولابد لنا من الوقوف عند مفردات هذا النص لتوضيح بعض معانيها لأننا بحاجة لأن نفهم شخصية النبي (ص) وسيرته فهماً واقعياً يعيننا في حركة الحاضر الذي مهما كان قاسياً وظالماً، فإنه لن يرقى إلى القسوة والظلم الذين كانا في عهد النبي (ص)، ومع هذا لم يدَّخر جهداً ووسيلة من أجل إيصال صوت الإسلام إلا بذل، وكان له في نهاية الأمر نتيجة إيجابية رائعة تمثلت في قيام النواة للدولة الإسلامية العالمية.

أولاً: النبي (ص) مبدأ النهضة الإسلامية الربانية: باعتبار أن الله عز وجل قد أوحى إليه بالشريعة الإسلامية السهلة السمحاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتمكن من أن يقيم في الأرض عبر جهاده وصبره وتضحياته النواة الأولى للإسلام كدولة ملأت جوانب الأرض فأشرقت بنور ربها موحدة له ومتوجهة إليه دون غيره. ولا شك أن ذلك الإنجاز هو الحجة البالغة على المسلمين في هذا الزمن حيث لا نقل عدَّاً وعُدَّة عن المجموعة الإسلامية المعاصرة للنبي (ص)، وحيث ان أعداءنا ليسوا أقوى من قريش وحلفائها في ذلك الزمن.

ثانياً: النبي (ص) مبدأ نشر العدالة: حيث ان النبي (ص) عمل على ترسيخ قيم الإنسانية في حياة المجتمع الإسلامي، وملغياً القوانين الجاهلية القائمة على أسس التفاصيل الطبقي بين البشر تبعاً للثروة أو للانتماء القبلي أو لعوامل القوى المادية وغير ذلك من الموازين التي كانت تؤدي إلى اختلال العدالة بكل معانيها وأبعادها بين الناس.

ثالثاً: النبي (ص) مصدر الثقافة الإسلامية: باعتبار أن الشريعة التي جاء بها انطلقت من الإنسان لتهذبه ولتبني نفسه البناء الذي يحقق لهذا الموجود دوره الحقيقي في هذه الدنيا وهو دور التمهيد والتوطئة للحياة الآخرة عبر بناء الدنيا، وبذلك أخرج النبي (ص) الإنسان من ثقافة اللحظة والمتعة إلى ثقافة تنسجم مع تطلعاته وآفاقه الإنسانية الرحبة المبنية على الفضائل والقيم التي يرمز إليها الإنسان.

رابعاً: النبي (ص) مؤسس حركة القضاء على الظلم: باعتبار ان النبي (ص) الذي أراد من خلال الشريعة أن يمنع أي عدوان يمكن أن يمارسه أي ظالم في أي جانب من جوانب الحياة، لكي يدفع بالناس على تفجير طاقاتها الخلاقة والمبدعة من أجل خير الإنسان، لأن الظلم بما هو قهر لإرادة الآخرين وتسلُّطٌ عليهم سيؤدي إلى قتل كل الطموح والقعود عن العمل والإنتاج لانعدام الدوافع الخيرة عند هؤلاء بسبب الضغوطات الممارَسَة ضدهم والمانعة لهم من الانطلاق نحو الأعمال الصالحة لخير أنفسهم وخير الناس أجمعين.

خامساً: النبي (ص) مصدر ارتقاء الإنسان: وهذا مما لا يمكن المناقشة فيه بعد الخطاب الإلهي لنبيه (ص) ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ حيث يكشف عن المراتب الأخلاقية والسلوكية الرفيعة جداً التي وصل إليها (ص) حتى صار مورداً للمدح الإلهي، وهو لا شك أراد كل المؤمنين به والأتباع لدينه أن يسيروا على نفس النهج والصراط لأن هذا السلوك هو الكاشف عن القدرات الخفية المودعة في نفس هذا المخلوق ليرتقي إلى أعلى درجات الصفاء ليصبح قاب قوسين أو أدنى كما هو حال نفس وروح رسول الله (ص).

سادساً: النبي (ص) مؤسس الهجرة عن جميع المظالم: باعتبار أن التزكية والتهذيب للنفس لا يمكن أن تتلاءم مع الظلم والمظالم المرتكبة بحق النفس او الآخرين، لأن الظلم هو تعبير عن نفس مأسورة للشيطان وقواه التي يستغلها لحرف الإنسان عن مساره الصحيح نحو الله عز وجل وتحويله إلى أداة للفتنة والفساد والإفساد وتدمير كل المعاني الجميلة للحياة الإنسانية، بينما التزكية تحول النفس إلى جسم لائق قابل لاستيعاب الفيوضات الرحمانية لتظهر في الفعل الإنساني جمالاً وضَّاءً ونوراً مشرقاً يهدي الناس ويأسرهم ويجذبهم إليه ليسيروا بهديه ويقتدوا بسيرته.

سابعاً: النبي (ص) مؤسس الأمة والإمامة: باعتبار أن عقيدة التوحيد التي تعني أن كل البشر هم واحد لوحدة الأصول والجذور المنطلقين منها، إلا أن هذه الوحدة لما غابت عنهم بفعل شياطين الجن والإنس عمل النبي (ص) على إعادتها إلى ما بين الناس ليرتبطوا بالله وبأنفسهم على أساس، وهذا ما حصل وتكونت الأمة وتأسست كوحدة متراصة هي نتاج عقيدة وجهاد دنيوي عظيم، وأسس بالتالي طريق الفلاح والنجاح للأمة من خلال تأسيس خط الإمامة والقيادة، لكي تسلكه الأمة بعد رحيله لتبقى في المسار الصحيح والصراط المستقيم الذي لا خسران معه ولا تراجع بل انتصار دائم وفوز مستمر.

من هنا نحن بحاجة إلى هذا الفهم الشامل والمستوعب لسيرة النبي (ص) حتى يكون لنا ذلك طريق هداية وإرشاد ويفتح قلوبنا وعقولنا لنعرف كيف ينبغي أن نكون جنوداً مضحين مدافعين عن هذا الدين الذي حمله رسول الله (ص) وفتح به القلوب ليسكنها والنفوس لترتاح إليه والأوطان ليديرها والشعوب ليقودها إلى خيرها في الدنيا والآخرة.

اللهم إننا نسألك وندعوك أن تحيينا حياة محمد وآل محمد، وأن تيمتنا ممات محمد وآل محمد، وأن ترزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم، إنك سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

الدين والسياسة عند الإمام ″قده″

ونحن نعيش في رحاب شهر ربيع الأول، شهر ولادة نبي الرحمة والهدى أبي القاسم محمد (ص) لابد من التوقف قليلاً عند مسألة مهمة وهي ″الدين والسياسية″ لكي نقرأ في كتاب الإمام الخميني ″قده″ آراءه في هذين الأمرين، بمعنى هل هما مرتبطان ببعضهما أو لا يوجد ارتباط علاقة بينهما، وإذا كانت العلاقة موجودة فما هي حدودها في الإسلام؟.

أولاً: يشير الإمام الخميني ″قده″ إلى أن رسول الله (ص) لم يقتصر في جهاده من أجل الإسلام على الدعوة إليه وتبليغه للناس، ثم تركهم وشأنهم ليختاروا شكل الحكومة أو النظام الذي يراد له أن يدير حياتهم وينظم أمورهم، بل إن النبي (ص) بعد أن نجح في إيصال رسالة الإسلام إلى مجتمع المدينة المنورة، عمل على إدارة أموره وفق السياسة الإسلامية في كل القضايا الداخلية والخارجية المرتبطة بالمجتمع الإسلامي.

ولم يصدر عن النبي (ص) أبداً ما يشير إلى أنه تخلى عن أولئك الناس بعد أن آمنوا به والتزموا الدين الذي جاء به من عند الله، كما يحاول الكثير من حكام الشعوب الإسلامية اليوم أن يصوروا الأمر على أن النبي (ص) هو مجرد بشير ونذير ولم يكن في يوم من الأيام حاكماً للمسلمين وقائداً سياسياً يدير شؤون دولتهم، ويوحون بهذا لبعض الأقلام المأجورة التي باعت دينها للشيطان لكي يروجوا لهذا الأمر عبر تنظيرهم له فكرياً وعقائدياً.

يقول الإمام الخميني ″قده″ في هذا المجال (... وهذا الرسول الكريم أيضاً، بُعِثَ وحيداً وخطط لمدة ثلاث عشرة سنة وحارب لمدة عشر سنوات، وهو (ص) لم يقل ما لنا وللسياسة)؟، لقد أدار الدولة الإسلامية ولم يقل ما لنا ولهذا الكلام؟!.

وهذه أيضاً حكومة أمير المؤمنين (ع) التي تعلمون كل ما يتعلق بوضعها وكيفية سياسته ووضع حروبه، إنه أيضاً لم يقل (لنجلس في بيوتنا وندعو ونقرأ الزيارة، ما لنا ولهذا الكلام؟!).

من هنا ينطق الإمام الخميني ″قده″ مرة ثانية ليقول (والله إن كل الإسلام سياسة، لقد أوضحوا الإسلام بشكل سيء، إن الدبلوماسية تنبع من الإسلام) ويقول أيضاً (إن أحكام الإسلام تشهد على أن للإسلام نواحٍ معنوية ونواح مادية، له أحكام معنوية وكثير من أحكامه سياسية... العالقة ما بين الحاكم والشعب، علاقات الحكومة والناس عامة، علاقة الحاكم وبقية الحكومات، ومنع المفاسد الموجودة، كل ذلك سياسة، والأحكام السياسية في الإسلام أكثر من الأحكام العبادية، للإسلام كتب سياسية أكثر مما له كتب عبادية).

ثم ينطلق الإمام ″قده″ ثالثاً ليؤكد هذه الحقيقية فيقول (إن التدخل في الأمور السياسية من أعظم الأمور التي بُعِثَ لأجلها الأنبياء (ع)).

من هنا نرى أن الدول الإسلامية بأكثريتها عندما لم تنطلق في إدارة أمور شعوبها من الإسلام فإنها لم تلحظ لهذا الدين ما يكفي من الاهتمام حتى على مستوى رعاية الشؤون الدينية البحتة، وإنما سعت وما تزال إلى تسخير الدين لخدمة الحكام وتبرير كل أفعالهم وتصرفاتهم ولو كانت ضد مصلحة الأمة والإسلام.

بل نجد أن الغالبية من هذه الأنظمة اليوم تعمل على إلصاق تهم الإرهاب والظلامية والرجعية بكل الذين يعملون على الانطلاق من إسلامهم في ميدان العمل السياسي أو العسكري في مواجهة الواقع الضاغط على شعوب هذه الأمة، بينما نراهم يشجعون السياسات الباطلة والمنحرفة ويضفون عليها الشرعية وكل ذلك من اجل أن يقولوا إن الإسلام ليس ديناً للحكم وللحياة، وإنما هو دين للعبادة فقط.

إن هذه المغالطة التي تتمسك بها الأنظمة اليوم وتروج لها وفق أوامر صادرة من قوى الاستكبار العالمي التي وجدت أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن تكون محكومة لها، وترى في وجود مثل هذه الدولة التي تأخذ أحكامها وقوانينها من هذا الدين خطراً على مصالحها وامتيازاتها، فهي بالتالي لا تريد لنموذج الدولة الإسلامية أن يتكرر في العالم عبر هذه المقولات المنحرفة التي لا زالوا يصرون على التمسك بها لنفي الأبعاد السياسية لهذا الدين الإلهي العظيم.

لهذا كله يقول الإمام الخميني ″قده″ (... وليس الإسلام مذهباً وديناً سياسياً فقط، بل هو عبادي وسياسي معاً، وسياسته مدغمة في عباداته، يعني أن نفس الناحية العبادية لها ناحية سياسية).

فهل بعد هذا كله يريدوننا أن نُبْقي هذا الإسلام بعيداً عن مسرح الحياة السياسية للأمة الإسلامية، وأن يبقى منزوياً في المساجد فقط؟ إن الزمان الذي أوهمونا فيه أن سياستنا الإسلامية النابعة من ديننا هي سبب انهزامنا وتخلفنا قد ولى، وحلّ محله هذا الزمان الذي تمتزج فيه حياتنا العبادية بحياتنا السياسية فتؤثر كل منهما في الأخرى تأثيراً إيجابياً قوياً ومترابطاً يؤدي إلى تقوية الارتباط بالله عز وجل بمنهاجنا العبادي، ويعمل على الوصول بالأمة إلى المرحلة التي تقتنع فيها بأن الإسلام السياسي هو ضمانتها للوصول إلى الأهداف الكبرى في الدنيا والآخرة معاً.

فمختصر الكلام عند الإمام الخميني ″قده″ أن سياستنا هي عين عبادتنا، وأن عبادتنا هي عين سياستنا، فلا فرق بين الأمرين إلا في العنوان بينما المضامين كلها تشير إلى ترابط وثيق بين الدين والسياسة فلا انفصال بينهما ولا اختلاف.

والحمد لله رب العالمين

وحدة الأمة الإسلامية

من أهم المفردات التي تميز بها خط الإمام الخميني ″قده″ وأخذت حيزاً مهماً من تفكيره وأسلوبه عمله هي مسألة ″وحدة الأمة الإسلامية″ التي كان طرحها من جانبه كجزء لا يتجزأ من ″شمولية الطرح الإسلامي″ الذي يتنافى مع التمزق والتفتيت الذي تعيشه الأمة في واقعها.

ولا شك أن وحدة الأمة هي الأصل الثابت الذي لا محيص عنه، وقد قال تعالى في كتابه ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾، وقال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾، وفي هذا المجال يقول الإمام ″قده″ (بحكم الإسلام

يجب أن يكون المسلمون يداً واحدة)، وكذلك (التكليف الآن هو أن يكون لجميع المسلمين وحدة كلمة).

ومن الواضع أن هذا الطرح الوحدوي للأمة كان شعاراً كما كان هدفاً مباشراً لجهاد الإمام وكفاحه الطويل، ويقول في هذا المجال (إن هدفنا هو الإسلام ووحدة كلمة المسلمين في كل أرجاء العالم، والاتحاد مع الدول الإسلامية كلها).

ومن هنا، لم يكن الاختلاف المتحقق بين المسلمين سبباً لتثبيت عزيمة الإمام "قده"، بل عمل على تجاوز واقع التجزئة الذي تعيشه الأمة وحاربه بكل ما أوتي من قوة من أجل تصحيح مسيرة هذه الأمة العظيمة وإعادة وحدة الكلمة إليها تحت راية التوحيد لله التي تقتضي وحدة المسلمين جميعاً.

ولهذا نجد أن الإمام رضوان الله عليه يعلن عن الاستعداد التام للعمل مع جميع المخلصين على قاعدة "وحدة الأمة" ويقول (إنني أمد يد الأخوة إلى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن ينظروا إلى الشيعة باعتبارهم أخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخططات المشؤومة).

كما يعتبر الإمام "قده" أن قيام الدولة الإسلامية ي إيران هو وسيلة من وسائل توحيد الأمة نظراً للإمكانات التي تتوفر لها ويقول (نحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وتحرير أراضيها من يد المستعمرين، وإسقاط الحكومات العميلة لهم، إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، وهذه بدورها سوف تتكلل أعمالها بالنجاح).

ويرى الإمام "قده" أن وحدة الأمة هي الطريق لتحرير وإعادة العزة والكرامة والحرية والاستقلال وقطع أيدي المستعمرين والأعداء، ويقول في هذا المجال (إذا كان المليار مسلم منسجمين مع بعضهم البعض فمن يستطيع أن يكسرهم؟) ويقول (إنكم "المسلمين" وما تملكون من الثروات المادية التي لا تُقَدَّر، وأهم منها الثروة الإلهية والمعنوية التي هي الإسلام تستطيعون أن تكونوا قوة لا تستطيع القوى الكبرى معها أن تتسلط عليكم، ولن تكونوا معرضين من اليمين واليسار لهجومهم

وسرقة كل ما تملكون)، ويقول أيضاً (إذا تعامل المسلمون وفق الأوامر الإسلامية وحافظوا على وحدة الكلمة وتركوا الاختلاف والتنازع الذي هو أساس هزيمتهم، فإنهم تحت راية لا إله إلا الله سوف يصانون من اعتداءات أعداء الإسلام وناهبي العالم وسوف يقطعون أيدي الشرق والغرب عن بلاد المسلمين).

ثم يحاول الإمام "قده" استنهاض همم المسلمين للسعي والعمل الجادين من أجل تحقيق هذه الوحدة العظيمة للأمة فيطرح لهم أثر الوحدة عند المسلمين الأوائل، وأنهم استطاعوا بناء أمة عظيمة بإمكانات قليلة لكن مع وحدة الصف والكلمة فيقول (يا مسلمي العالم: ماذا حصل لكم؟ ففي صدر الإسلام وبعد قليل جداً هزمتم القوى الكبرى وأوجدتم الأمة الإسلامية...، انهضوا من رقدتكم واحملوا القرآن واخضعوا لأوامر الله وأعيدوا المجد وعظمة الإسلام).

ولهذا كله فإن الإمام "قده" يدعو كل المتنورين والمتبصرين من أبناء الأمة والعلماء إلى تبني الدعوة إلى وحدة الأمة بين شرائحها كافة لما لهذه الوحدة من الآثار الكبيرة على الحاضر والمستقبل والربط بالماضي المجيد للأمة، ويقول (آمل من المسلمين الواعين وأصحاب البصائر والعلماء الأعلام في اجتماعات شهر رمضان المبارك وبقية الاجتماعات الإسلامية الكبيرة مثل اجتماع يوم الجمعة ومراسم الحج أن يدعو أنصار القرآن إلى وحدة الكلمة وتوحيد المساعي...).

هذا غيض من فيض مما تركه لنا الإمام "قده" من تراث عظيم يشكل لنا برنامج عمل نحمل مسؤوليته لنتابع السعي الذي بدأه نحو هذه الأمة الكبيرة التي تستحق أن تكون في موقع قيادة العالم بدلاً من أن تكون تابعاً ذليلاً مستغلاً من القوى الكبرى في العالم وعلى رأسها أمريكا.

إلا أن الإمام "قده" كان يرى وجود عقبات كبرى تحول دون تحقيق هذه الوحدة، فيجب السعي لإزالتها من الطريق، ومن أهم هذه العقبات: تبعية الأنظمة الحاكمية في عالمنا الإسلامية للقوى الاستكبارية في العالم، وهذا ما سوف نبينه في حلقة قادمة إن شاء الله العلي القدير. والحمد لله رب العالمين

رفض التبعية

في النظام الدولي قبل سقوط الاتحاد السوفياتي وتفكك منظمة الدول الاشتراكية، كان يحكم العالم قطبان يتنازعان فيما بينهما قضية السيطرة على العالم بدوله وموارده وسياسته، وقد أدت الحرب الباردة بين هاتين القوتين إلى صراعات عديدة بين الدول التابعة لهما في مجمل مساحة العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية دفعت خلالها الشعوب المستضعفة الكثير من دماء أبنائها ومن مواردها الشيء الكثير الذي ما زالت تعاني منه حتى اليوم.

في ظل ذلك النظام حاولت بعض الدول من العالم المسحوق بإرادة القوتين العظميين إيجاد قوة عالمية ثالثة تقف على الحياد بين القوتين والمعسكرين التابعين لهما ونشأت فكرة "عدم الانحياز" التي روج لها بعض الرؤساء البارزين لدول مستضعفة كعبد الناصر وتيتو ونهرو، وعُقِدَتْ مؤتمرات أولها كان في اندونيسيا، إلا أن هذه الفكرة سرعان ما سقط وبقيت اسماً بلا مضمون، لأن الانحياز من الدول المنتمية إلى هذه الفكرة كان قائماً ومتحققاً، وصارت المؤتمرات التي تُعْقَد خالية من أي مضمون حقيقي يعبر عن استقلالية دون العالم الثالث عن السيطرة والخضوع للقوتين الكبيرتين.

ذلك الانسحاق للدول المستضعفة، والفشل الذي أصاب فكرة "عدم الانحياز" عاشهما الإمام الخميني "قده" وعاصرهما خلال فترة نضاله وجهاده ضد الحكم الشاهنشاهي في إيران، وكأن يعبر بألم ومرارة عن الوضع الصعب الذي ترزح فيه الشعوب المستضعفة أمام سطوة وجبروت القوى الكبرى، ويقول في هذا المجال (إن كل متاعب العالم إنما هي من هذه القوى العظمى التي تدَّعي أنها تقوم بهذه الأعمال من أجل الصلح، يرتكبون كل هذه الجرائم، ويجرون كل هذه الدول إلى الصراع الدموي فيما بينها، ويزعمون أنهم لا يستطيعون رؤية حقوق الإنسان مهدورة ومقضياً عليها، إنهم يزعمون زعماً لا واقعية له، بل الواقع بخلافه بينما المسلمون ومستضعفو العالم في غفلة).

من هذا الواقع المرير الذي كانت تمر فيه هذه الشعوب المستضعفة، ومن منطلق أن الاصالة الإسلامية ترفض التبعية التي تؤدي إلى إلغاء حرية القرار والاستقلال، وإلى سيطرة المستكبرين على الموارد والثروات لدى الشعوب، طرح الإمام الخميني "قده" فكرة "لا شرقية، لا غربية" كشعار للثورة للتدليل على أنها ليست مرتبطة بأية قوى كبرى في العالم، وأن الثورة ضد الشاه العميل الأمريكي لا تعني بالضرورة الارتباط بالقوى الكبرى الثانية وهي روسيا الشيوعية، وكان هذا الشعار على خلاف كل شعارات الثورات التي تميزت بها فترة الحرب الباردة التي كانت عبارة عن ثورات تابعة لأحد المعسكرين ولم تكن ثورات أصيلة، ولهذا كانت الثورة التي تنتصر ـ إن صح إطلاق اسم الثورات على الكثير منها ـ ما انتصارها إلا عبارة عن تغيير القوى الكبرى التي ترتبط بها تلك الثورة ليس إلا وبقاء التبعية بكل ما تعنيه من الذل والخضوع لكن مع تغيير العنوان من الشرق إلى الغرب تارة، ومن الغرب إلى الشرق تارة أخرى.

ولأجل رفع التوهم الذي كان مترسخاً في أذهان غالبية شعوب العالم من أنه لا يمكن أن تقوم ثورة غير مستندة إلى إحدى القوتين العالميتين يقول الإمام "قده" (إن واجبنا أن نقف في مواجهة المستكبرين ولدينا القدرة على الوقوف بشرط أن يتخلى المثقفون عن الشرق والغرب، وعن التشرق والتغرب، وأن يتبعوا الصراط المستقيم للإسلام والأمة، فنحن في صراع مع الشيوعية بنفس المقدار الذي نكافح فيه ضد ناهبي العالم الغربيين بزعامة أمريكا...).

وانطلق الإمام "قده" بهذا الشعار واستطاع أن يقود شعبه نحو النصر المؤزر من دون مساعدة أية قوة عالمية في صنع النصر التاريخي شبه المعجز في هذا القرن، وبقي هذا الشعار العظيم حاكماً لمسيرة الثورة بعد الانتصار والتحول إلى دولة إسلامية، ويقول الإمام في هذا المجال (حافظوا على سياسة لا شرقية ولا غربية في جميع المجالات الداخلية والعلاقات الخارجية...).

ورفض التبعية عند الإمام "قده" من جملة ما كان يعنيه أيضاً هو أن العلاقات مع الدول الأجنبية ينبغي أن تنبع من المصالح العليا للأمة والإسلام، ويقول في هذا المجال أيضاً (سوف تكون علاقتنا مع الأجانب على أساس الاحترام المتبادل، وفي هذه العلاقة لن نستسلم للظلم ولن نظلم أحداً، وبالنسبة لكل الاتفاقات سوف نعمل على أساس المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لشعبنا)، ويقول (إن سياستنا مبنية على أساس حفظ الحرية والاستقلال وحفظ مصالح الناس ولن نضحي بهذا الأصل من أجل أي شيء آخر).

من هنا دعا الإمام "قده" كل الشعوب المستضعفة التواقة للحرية والاستقلال والعزة إلى سلوك الطريق الذي انتهجه الشعب المسلم في إيران للوصول إلى المقاصد الحقيقة لتلك المفاهيم التي كانت قد فقدت كل بريقها وقوتها على يدي القوى الكبرى في عالم اليوم، ويقول (أنا أعلن مرة أخرى حمايتي وتأييدي لجميع الحركات التحررية في العالم، وحتى ينجحوا في تحقيق مجتمعهم الحر آمل من الحكومة الإسلامية أن تساعدهم كلما اقتضى الأمر ذلك).

والحمد لله رب العالمين

النهوض الإسلامي عند الإمام "قده"

من الواضح أن الإمام الخميني "قده" لم يكن يحمل هموم الشعب المسلم في إيران فقط، وإنما كان يحمل ويعيش هموم الأمة الإسلامية كلها، لأنه كان يرى وحدة الظروف والأسباب التي أدت إلى تسلط العالم الاستكباري على مقدرات هذه الأمة، وهذا ما نلمسه في التصميم الصريح في خطاباته وبياناته بأن على شعوب الأمة النهوض في وجه كل هذا الواقع الضاغط عليها إن كانت تنشد الحرية والاستقلال والعزة.

ولم يكن الإمام يرى بأن الضعف الذي تعيش الأمة في مواجهة أعدائها هو أمر حقيقي، بل هو نوع من الوهم الذي أريد له أن يعيش في قلوبنا وأفكارنا حتى نبقى

دائماً في مواقع العجز والاستلام لإرادة العالم المستكبر، وقد قال ″قده″ (أيتها الشعوب المسلمة، أيتها الشعوب المظلومة في جميع الدول الإسلامية، أيتها الشعوب العزيزة التي وقعت تحت سلطة أشخاص يقدمونهم مجاناً لأمريكا، أنتم أنفسكم تعيشون بذلة وتعب، أفيقوا وانهضوا وقوموا ضد الاستكبار، وإذا نهضتم فإنهم لن يستطيعوا أن يرتكبوا أية حماقة).

ومن هنا نلمس في كلام الإمام ″قده″ الألم والمرارة والغصة لهذا الواقع البائس الذي تعيشه الأمة، ويطلق صرخة من القلب الكبير الحامل لهموم الأمة ومشاكلها،ويقول (ماذا حدث للمسلمين؟ ماذا حدث لزعماء المسلمين؟ بذلوا كراماتهم وماء وجوههم أمام أمريكا، ماذا حدث لهم حتى يقدموا خزائن الإسلام الكبرى التي هي ملك الشعوب الحفاة لأمريكا؟ وفي مقابل هذا التقديم نجد أمريكا تدافع عن إسرائيل وتقول بأنها لن تتخلى عن إسرائيل).

ويرى الإمام ″قده″ بأن كل هذه الحرب التي تُشَنُّ على الأمة إنما هي بسبب ارتباطها بالإسلام ويقول (لقد دقّقت ناقوس الخط مراراً، الخطر الذي يتعرض له الدين المقدس..)، ومن أقوى كلمات الإمام ″قده″ في مجال الدعوة إلى نهضة إسلامية شاملة قوله (أيبيعوننا ونبقى ساكتين؟ أيبيعون قرآننا ونسكت؟ أيبيعون استقلالنا ونسكت؟ والله إن الذي لا يصرخ بصوت عالٍ لجان، والله إنه لمرتكب كبيرة، يا رؤساء المسلمين أغيثوا الإسلام، يا علماء النجف ويا علماء قم، أغيثوا الإسلام، ذهب الإسلام).

إن كل هذا الجو الذي أوجده الإمام ″قده″ قد استطاع أن يبدأ بتحقيق آثاره في حياة الأمة الإسلامية بعد انتصار الثورة الإسلامية التي فتحت الباب لإسماع ذلك الصوت الإلهي الصادق والمخلص إلى كل أبناء الأمة وشعوبها، وبدأت مرحلة جديدة قوامها التصدي لكل هذا الجو القائم، وشيئاً فشيئاً بدا هذا العالم الإسلامي الذي كان هامداً لا حراك فيه جسماً نشيطاً حياً متحركاً قادراً على تغيير المعادلة وتبديل الصورة القائمة بصورة مشرقة مشرفة على مستقبل كله أمل بالخلاص من

سيطرة الاستكبار، والإمام "قده" يواكب هذا النهوض ويدفع به قدماً إلى الأمام، فتارة وجه خطابه إلى الشعب المسلم في فلسطين، وتارة إلى الشعب الثائر في أفغانستان بوجه الاحتلال السوفيتي، وثالثة يركز خطابه على الحالة الإسلامية في لبنان ويعتبر كما قال "قده" (بأن جهاد حزب الله لبنان هو حجة على العلماء والأمة)، فيدفع من خلال تلك الكلمات النورانية كل الثائرين المنقضين إلى مزيد من القوة والجهاد، ويحمِّلهم مسؤولية أكبر تجاه قضايا شعبهم وأمتهم، ويندفع هؤلاء الذين يسمعون كلام إمامهم إلى تجسيد ذلك الكلام واقعاً حياً بجهادهم وعرقهم واستشهادهم في سبيل إعلاء كلمة الإسلام والأمة.

ومما لا شك فيه أن النهوض الإسلامي العام الذي تعيشه الأمة اليوم هو ثمرة من ثمرات عمر الإمام الخميني "قده" وجهاده الطويل وهو الذي فتح الباب لهذه الأمة لكي تبدأ مسيرة التحرير بالجهاد والشهادة.

فمن الذي كان يحلم بأن يكون في لبنان حركة إسلامية بهذه القوة التي أصبحت شوكة في عيون أمريكا وإسرائيل؟ من كان يتصور أن تصبح المقاومة الإسلامية رقماً صعباً في المعادلات الدولية على مستوى أزمة المنطقة؟ ومن كان يعتقد أن الساحة اللبنانية التي كانت مركزاً سياحياً مهماً لكل العرب والأجانب أن تصبح بالمقاومة وبالمجاهدين قدوة ونموذجاً رائعاً يحتذي به كل الثائرين والأحرار في العالم، وأن يصبح شباب حزب الله في لبنان مورداً لمدح الإمام الخميني العظيم؟.

إن كل هذا التقدم الذي أحرزته الحركات الإسلامية عموماً، وخصوصاً في فلسطين ولبنان هو من رشحات ذلك القائد الإلهي الملهم الذي استطاع أن يفك الأمة من كل قيود الأسر والإذلال، وينطلق بها إلى مواقع العزة والكرامة ليُدْخِلوا الرعب والهلع والخوف إلى قلوب المستكبرين وعلى رأسهم أمريكا، وليجعلوا الكيان الغاصب يعيش القلق الدائم على احتلاله لأرضنا المقدسة في فلسطين الحبيبة والقدس الشريف.

إن شمولية النهضة الإسلامية اليوم هي التجسيد الحي لمفاهيم القرآن والإسلام التي حررها الإمام "قده" من الأوهام التي اصطنعها المستكبرون وجعلوها حقيقة في أفكارنا وقلوبنا، ولا شك أن هذه النهضة ستستمر إلى أن تحقق أهدافها ولن تستطيع القوى المستكبرة بكل مؤتمراتها ومؤامراتها أن توقف هذا المد المتعاظم وستتحقق نبوءة الإمام "قده" بأن هذا القرن "الخامس عشر الهجري" هو قرن انتصار المستضعفين على المستكبرين.

والحمد لله رب العالمين

الفهم العميق للسياسة الاستكبارية

مما لا شك فيه أن استيعاب سياسة العالم المستكبر وطريقة تفكيره تساعد على تحديد نوعية الدفاع التي يجب أن تمارسها الشعوب التي ترزح تحت ظلم واضطهاد الدول المصنَّفة بـ"دول الاستكبار" وعلى رأسها "أمريكا" الشيطان الأكبر كما سماها الإمام الخميني المقدس.

ففي الوقت الذي كانت غالبية الدولة الإسلامية تعيش الولاء لكل من أمريكا وروسيا، كان الإمام الخميني "قده" يطرح الإسلام كحل لمشاكل الأمة، لأنه كان يرى أن كلاً من الدولتين المذكورتين لا تعملان لصالح الشعوب بل لصالح منافعهما ومكاسبهما على حساب العالم المسمى بالثالث، وكان ينظر بعين الأسى والحزن لكل ما يحدث في هذا العالم المستضعف الذي يدفع ضريبة كبيرة من دماء أبناء شعوبه ومقدراته وامكاناته في سبيل ذلك الصراع المدمر بين الدول الكبرى، وكُلٌ منهما ترفع الشعارات البراقة التي تخدع الشعوب لتلحق بهذه الدولة أو تلك مع عدم كون الوقائع متوافقة مع تلك الشعارات المعسولة التي كانت تدغدغ الشعوب وتجعلها تعيش عالم الأحلام.

فمنذ أوساط الستينات نجد أن الإمام "قده" يقول (لتعلم الدنيا أن كل متاعب إيران والشعوب الإسلامية هي من أمريكا، الشعوب الإسلامية تنفر من الأجانب

عموماً ومن أمريكا خصوصاً... أمريكا تعطي الإمكانيات لإسرائيل من أجل تشريد العرب المسلمين. أمريكا تعتبر الإسلام والقرآن الكريم مضرين بمصالحها وتريد ازاحتهما عن الطريق، أمريكا تعتبر أن الروحانيين شوكة في طريق الاستعمار ويجب أن يُحبسوا ويُزجَروا ويهانوا... أمريكا هي التي تتعامل بوحشية مع المسلمين وبأسوأ من ذلك).

وبنفس الأسلوب نجد أن الإمام "قده" تعامل مع الاتحاد السوفياتي السابق ويطلق عليه نفس الأحكام التي أطلقها على أمريكا ويقول (نحن في صراع مع الشيوعية العالمية بنفس المقدار الذي نجاهد به ناهبي العالم الغربيين بزعامة أمريكا والصهيونية وإسرائيل. اعلموا يا أصدقائي الأعزاء أن خطر القوى الشيوعية ليس بأقل من خطر أمريكا)، وكذلك قوله "قده" (ليس خطر الشيوعية بأقل من خطر الرأسمالية الغربية).

من هنا نجد أن بعض النصوص الواردة عن الإمام تجمع مباشرة في الحكم بين القوى الغربية والشرقية في آن معاً ويقول في احدها (إن كل القوى الشرقية والغربية... جميع هؤلاء مخالفون لشعبنا وقد وقفتم أنتم مقابلهم وعقدتم قبضاتكم وقلتم منذ البداية (لا شرقية، لا غربية) نحن لا نذهب لجهة الشرق أو الغرب، نحن عندنا استقلال، نحن عندما حرية بالكيفية التي يقول بها الإسلام ونحن نريد، الجمهورية الإسلامية).

من هذه القاعدة في المواجهة مع تلك القوى انطلق الإمام "قده" من أساس متين هو الإسلام، لأنه وجد فيه الطريق الصحيح للتحرر الحقيقي الواقعي الذي يستطيع أن يعيد مجد الأمة ويبني تاريخها في مقابل الأمم الأخرى، ويقول (نحن لا نخضع ولا نساوم مع أي من القوى الكبرى، نحن لا نقع تحت سلطة أمريكا ولا تحت الثقل الروسي، نحن مسلمون، نريد أن نحيا، نحن نرضى أن نعيش عيشة الفقراء ولكن نكون أحراراً مستقلين).

ولهذا لم يلجأ الإمام "قده" عندما ثار على النظام الملكي الشاهنشاهي في إيـران المدعوم من أمريكا ومن روسيا بنسبة ما إلى أي من هـاتين الـدولتين لعلمـه بـأن الاستناد إلى أحداهما هو تعبير عن الانتقال من يد مستكبر إلى يد مستكبر آخر مـع الفارق في التسمية والشعارات لا غير.

وعلى هذا الأساس كان يدعو الأمة إلى الالتفاف حـول دينهـا وعقيـدتها وإلـى التمسك بتراثها الحضاري وتاريخها الجهادي الطويل تصنع لها موقعاً ودوراً متميزين في عالم السياسة الدولية المعاصرة.

وحيث كان يرى أن الفرقة والاختلاف بين الدول الإسـلامية هـي مـرض الأمـة القاتل، كان يركز كلامه وتوجيهاته نحو ضرورة السعي الحثيث للتخلص مـن هـذا الوباء الذي يفتك في جسد المسلمين ليعيدوا وحدتهم وعزتهم وقـوتهم وليحـرروا شعوبهم المقهورة، ويقول "قده" (إذا اتحد مليار مسلم في العالم فإن الشرق والغرب لا يستطيعون فعل شيء)، ولهذا كان يستنكر على الـدول الإسـلامية هـذا التفكـك وذلك الارتماء في أحضان أمريكا أو روسيا بلا فرق ويقول (لماذا تَمسَّك كل واحد منكم بفرع أو التفت إلى الشرق أو إلى الغرب؟ لماذا لا تعتصمون بحبل الله معاً؟..).

إلا أن المؤسف أن هذا كله لم يلق الآذان الصاغية عند الأنظمـة أو حتـى عنـد الكثير من المثقفين حتى بعد انتصار الثورة في إيران باسم الإسـلام وأثبـت الإمـام "قده" صدق مقالته واستنتاجاته عن السياسة العالمية التي كانت موجودة، ولهذا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي الذي بشَّر الإمام به قبل حدوثـه بـسنوات عنـدما طلـب إرسال الشيوعية إلى متاحف التاريخ ضاع كل الذين كانوا قـد ارتبطـوا بالـشيوعية ومنظومة الدول الدائرة في فلكها، وارتمى كثير من هؤلاء الـضائعين فـي أحـضان أمريكا التي كانت حتى الأمس عودتهم اللدودة، ما زال قسم آخر من أولئك يبحثون إلى الآن عن سند ودعم لهم لن يجدوه إلا في الإسلام الذي طرحه الإمام الخمينـي "قده" منذ عقود كحلٍ لمشاكل الأمة، إلا أنهم توهماً يتصورون أنهم يعـاودون إلـى الماضي البعيد فيما لو عادوا إلى الإسلام، لهذا ما زالوا يدورون في حلقة مفرغة لن يهتدوا إلى الخروج منها سبيلاً.

والحمد لله رب العالمين

الخطاب التعبوي عند الإمام "قده"

من أهم المفردات التي ميزت خط الإمام "قده" عن الخطوط الأخرى التي كانت تحمل لواء العمل في سبيل الإسلام هو تعبئته لكل طبقات الشعب بخطاب تعبوي واحد وشامل من دون استثناء طبقة، لأنه كان يرى أن النصر لا يمكن أن يتحقق بصورة شاملة وأكيدة إلا عبر اشتراك الفئات كافة في تحمل مسؤولية الثورة ضد النظام القائم، وبهذا يكون الإمام "قده" قد تبع المنهج القرآني في توجيه خطابه لكل البشر طالما أنهم قادرون على فهمه واستيعاب المعاني والقضايا التي صرحها مع عدم التعقيد في العبارات والأساليب.

من هنا نلمس في خطاب الإمام "قده" البساطة والوضوح والقوة في الموقف من كل المسائل التي كانت مسرحاً للنقاش ومادة لتعبئة الجماهير ضد نظام الشاه، مع ذكر المفاسد والنتائج السيئة التي يترتب على القضايا التي كان يطرحها أمام الجماهير بطريقة لا يستطيع النظام التمويه أو النفاق أو التهرب منها.

ولهذا نجد الإمام "قده" يخاطب الشعب كما خاطب القرآن الإنسان كله، ويقول "قده" (نحن الآن في وضع بحيث إذا أردت أنا أتنحى جانباً وأقول فليعمل الآخرون، وإذا أردتهم انتم أن تتنحوا جانباً وتقولوا فليعمل الآخرون، فإن ذلك سوف يكون سبباً لأن لا نستطيع الوصول بهذه النهضة إلى النهاية... إن على أكتافكم أيها الشباب الأقوياء والأعزاء جداً، وعلى أكتافنا نحن العجزة عمل ثقيل من التكليف الإلهي، ويجب علينا بهمة رجولتكم وبدعائنا أن نوصل هذا الحمل إلى مقصده، وأن نضع خاتمة لكل هذا الاضطراب).

من هنا كان الإمام ينظر إلى أن الثورة هي مسؤولية الجميع، عليهم أن يشاركوا فيها، لأن هذه المشاركة هي التي تؤهل كل الفئات لاحقاً للدفاع عن الثورة ومنجزاتها لأن الجميع شارك في صنعها والوصول إليها.

والخلفية الأساس التي ينطلق منها الإمام "قده" في خطابه التعبوي هو "عقائدية الثورة الإسلامية" التي تمثل العنصر المشترك بين "المظلومية العقائدية" التي عانى

منها الشعب المسلم في إيران وتعاني منها كل الأمة في زمان ثورته وفي هذا الزمن أيضاً، ويقول "قده" (إن نضالات وطننا عقائدية، والجهاد في سبيل العقيدة لا يقبل الهزيمة، وهو يعبئ كل أنحاء الوطن في اتجاه واحد، ويزيح من أمامنا جميع المشكلات...).

ومن هنا نرى أن الإمام "قده" يضع ثقته الكاملة بالشعب الواعي القادر على القيام بأعباء الثورة وتحمل مسؤولياتها ويقول "قده" (إن شعبنا لن يتوقف اليوم، فإن ثورته وتطوره ليس متوقفاً عليَّ أنا أو على زيد أو عمرو، لقد عرف شعبنا طريقه ويعلم ماذا ينبغي له أن يفعل، وبهذه الطريقة التي عرفوها.. فإنهم سوف يسيرون قدماً إلى الأمام، وليس كما يقال من أنه إذا لم أكن موجوداً ماذا سيحصل؟... إن الخميني الذي يقضي آخر أيام عمره قد وضع كل أمله فيكم... فأنا وأنتم واحد فلا يوجد زعامة في البَيْن..).

لقد كان هذا الخطاب التعبوي الجماهيري الذي يستنهض الهمم ويستثير العزائم وبطريقة تزرع الثقة القوة، هي التي جعلت كل فئات الشعب المسلم في إيران تنهض نهضة رجل واحد في مواجهة طغيان الشاه وجبروته ليسقطه ويبني دولة الإسلام والقرآن لتطبق شرع الله وتكون النموذج لكل الشعوب الإسلامية.

مضافاً إلى أن الخطاب التعبوي لم يقتصر على زرع الثقة للوصول إلى النصر بل تعداه إلى طرح مسألة "الاكتفاء الذاتي" وإشعار كل فئة بقدرتها على الوصول إلى هذا الهدف المشترك لكل أبناء الشعب، ويقول "قده" (إذا أراد شعبنا الشريف أن ينتصر في هذه الثورة فعليه أن يشمِّر عن ساعده، ويبادر إلى العمل من داخل الجامعات إلى الأسواق والمعامل والمزارع والحقول حتى الوصول إلى الاكتفاء الذاتي والوقوف على قدميه).

ولم يقتصر الخطاب التعبوي للإمام "قده" على الشعب المسلم في إيران، بل توجَّه بخطابه إلى كل الشعوب الإسلامية لأنه كان يرى فيها القدرة على الوصول إلى نفس النتائج التي توصل إليها الشعب المسلم في إيران، وهذا الخطاب هو الذي حاولت

الأنظمة العميلة الوقوف في وجهه خوفاً من تنامي الحالة التعبوي الاستنهاضية عندهم بنحو يهدد توجهات الأنظمة وتبعيتها للاستكبار الأمريكي العالمي، إلا أن كل الاتهامات التي سِيْقَتْ لمنع هذا الخطاب من الوصول لم تستطع أن تقف في وجه قوة الخطاب عند الإمام "قده" مع بساطته ووضوحه، ولعب هذا الخطاب دوراً مميزاً في نهضة الشعوب الإسلامية التي أحياها الإمام "قده" بخطابه بعد أن كانت قد وصلت إلى حافة اليأس والقناعة بالعجز بسبب الخطاب التآمري للأنظمة العميلة الحاكمة في أغلب بلاد المسلمين، ويمكن اعتبار المقاومة الإسلامية في لبنان والانتفاضة الإسلامية في فلسطين استجابتان لهذا الخطاب التعبوي الاستنهاضي للأمة بشكل أساس.

والحمد لله رب العالمين

الثورة الثقافية عند الإمام "قده"

الثقافة هي التعبير المقصود به القاعدة الفكرية التي ينطلق منها شعب ما مع ما ينبثق عنها من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية وأنماط سلوكية تتحدد بها الهوية والاتجاه، ومن خلالها تتمايز الشعوب وتتنوع من هذه الجهة.

ومما لا شك فيه أن القاعدة الفكرية كلما كانت قوية ومتماسكة وتملك الأدلة القوية لرد حملات الآخرين المشككة ضدها، كلما كانت قادرة على المواجهة شرط توافر الدوافع والطاقات الواعية المؤمنة بفكرها ونتاجه العام.

والفكر الإسلامي بما هو فكر أصيل نابع من عمق الأصالة الإنسانية ومنسجم معها وفق الرؤية الإسلامية التي صاغت هذا الفكر المتكامل مع العقل والفطرة هو الكفيل بأن يحقق الآمال العريضة فيما لو تُرِكَ له المجال لأن يقود الحياة ويصوغ الحلول لكل أنواع المشاكل والمآسي التي تتخبط فيها المجتمعات البشرية.

إلا أن القوى الحاكمة والمسيطرة بقواها العسكرية والاقتصادية والفارضة سياستها وتوجهاتها على الشعوب الأخرى تعتقد من غير وجه حق أن امتلاكها لزمام الأمور

في العالم يعطيها الحق في أن تجعل فكرها هو الفكر العالمي، وثقافتها هي الثقافة المعتمدة كبديل عن كل ثقافات الشعوب وحضاراتها التي ترسخت عبر العصور والقرون.

وهذا ما دفع بتلك القوى الاستكبارية لأن تمارس كل أنواع الضغوط المختلفة على الشعوب لدفعها إلى إجراء هذه التغييرات الأساسية في أفكارها وتوجهاتها وأنماط حياتها، واستطاعت أن تحقق نجاحات مهمة في العديد من المجتمعات التي لا تنطلق من الفكر السليم ونقصد به الفكر المرتبط بالخط الإلهي العام والإسلامي منه بالتحديد، وهذا ما أعطى تلك القوى عنصراً إضافياً للضغط على عالمنا الإسلامي الذي تأثر أيضاً بثقافة المستعمرين والمستكبرين، إلا أن هذا التأثر لم يصل إلى حدود إلغاء الهوية وطمس الشخصية.

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة عندما نقول إن تأثير الثقافة الغربية بشكل عام نتج عن مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية على حد سواء، فعدم توافر القيادات المستوعبة لمجريات العصر وانبهار الأمة بالتقدم الصناعي والعلمي للغرب، والثقافة التغريبية التي صار يُنْظَر إليها على أنها الطريق الأوحد للتقدم، مع الحضور المباشر في المراحل الأولى لنتاج الفكر الغربي في محيطنا الإسلامي من خلال جيوشه التي حملت معها العادات والتقاليد والأساليب المتطورة في بعض المجالات الاجتماعية كالتعليم والصحة والاتصالات والمواصلات والأزياء والحركة الفكرية الوضعية والنظريات المتنوعة، أدى إلى ذلك التفكك والانحلال لعرى الأمة الإسلامية الواحدة، التي تأثر كل جزء منها بطبيعة وثقافة الدولة المستعمرة.

إلا أن المؤسف في هذا المجال أن الأمة رضيت بالتخلي عن هويتها الحقيقية في القضايا الكبرى على أمل ولوج العصر من بابه الواسع، فلم تفلح في دخول العصر بالنحو الذي كانت تأمله، ولم تتمكن بالتالي من العودة للالتزام بهويتها الأصيلة بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن الإسلام لا يملك القدرة على إدخال الأمة إلى العصر لتكون جزءاً منه، بل يمكن أن يعيدها كثيراً إلى الوراء أي التخلف.

من هنا كان الإمام "قده" يؤكد على أن الثقافة الاستعمارية لا يمكن أن تنتج أمة حرة لأن صوغها بيد أولئك المستكبرين لا يحمل عناصر الثقة بأنهم يريدون الرقي والتقدم، وإنما يريدون ترويج الفكر الذي ينتج العبودية والذلة في النفوس والتسليم للفكر الاستكباري بالكامل، ويقول "قده" (الثقافة هي أساس السعادة والتعاسة للأمم، وإذا أصبحت الثقافة غير صالحة فإن هؤلاء الشباب الذين يتلقون هذه الثقافة الفاسدة سوف يصبحون هم مصدراً للفساد، والثقافة الاستعمارية تصنع للأمة شباباً مستعمراً، فالثقافة التي يصممها لنا الآخرون ويخططها لنا الأجانب وبواسطتها يقومون بتزييف المجتمع هي ثقافة استعمارية طفيلية، وهي بالنسبة لنا أسوأ حتى من أسلحة هؤلاء المستكبرين).

ولهذا اعتبر الإمام "قده" أن التخلي عن الثقافة الأصيلة للأمة هو تخلٍ عن هويتها ووجودها، ويقول (إن ثقافة كل مجتمع تعبر أساساً عن هوية ووجود هذا المجتمع، ومهما كان هذا المجتمع قوياً من النواحي الاقتصادية والسياسية والصناعية والعسكرية فإن الانحراف الثقافي سيحوله إلى كيان خاوٍ وفارغ من أي اعتبار وقريب من السقوط...).

من أجل ذلك كانت دعوة الإمام الخميني "قده" إلى ضرورة إحداث الثورة الثقافية في إيران والعالم الإسلامية لتربية الأمة من خلال فكرها الأصيل الذي يولِّد الأجيال الحرة والقادرة على مواجهة التأثير الفكري الغربي وامتداداته في حياتنا، وقد استطاعت هذه الثورة التي لم تصل إلى ذروتها الآن أن تلعب دوراً تغييرياً متمثلاً في هذه التوجهات الجديدة الحاصلة حالياً مع ما أنتجته من تغيرات على مستوى طموحات الأمة وآمالها ومستقبلها.

والحمد لله رب العالمين

الطبقات المرفهة الحاكمة

للإمام الخميني "قده" في مجال الحديث عن الطبقات الحاكمة ونفسياتها الكثير من النصوص التي تنفذ إلى أعماق أولئك، فيحللها ويكشف عن الأسباب الدافعة لتلك الطبقات إلى أن تمارس الظلم والقهر لحياة المجتمعات على المستويات كافة، وتنتج عن كل ذلك المآسي والفجائع والانحرافات التي تهدد بتدمير الحياة الاجتماعية إذا لم يتوافر في مواجهة تلك الطبقات من يستطيع الوقوف بوجه كل أنواع الإذلال التي تمارسها.

ويعتبر الإمام "قده" أن الجنوح نحو الدنيا والتكالب عليها والطمع فيها هو من الأسباب الرئيسية في ذلك ويقول (في اليوم الذي توجد فيه زخرفات الدنيا ويجد الشيطان له طريقاً فيما بيننا ويصبح هو مرشدنا، فإن الاستكبار سوف يستطيع أن يؤثر فينا حينئذ ويجر وطننا نحو الفناء. لقد كان وطننا دائماً وبواسطة سكان القصور هؤلاء يُجَرُّ إلى الفناء. إن سلاطين الجور هؤلاء كلهم كانوا تقريباً من سكان القصور، وهؤلاء لا يستطيعون أن يكفروا بالناس، ولا يستطيعون أن يحسوا ما هو الفرق، وماذا يعني أن يكون الإنسان بلا مأوى. إنهم أصلاً لا يستطيعون أن يدركوا هذا الإحساس، وعندما لا يحس الإنسان معنى الفقر ومعنى الجوع فإنه لا يستطيع أن يفكر بالجياع والبؤساء).

إن هذا النص عن الإمام الخميني "قده" ينطبق بمصداقية كبيرة على الحكومة اللبنانية في قراراتها الأخيرة التي يمكن اعتبار نتائجها أشبه بالكارثة ـ إن لم تكن كارثة حقيقية ـ على مستوى الطبقات المستضعفة والفقيرة والمحرومة من أبسط مقومات العيش الكريم، التي لم تعد قادرة على دفع الضرائب الباهظة التي تستنفد كل مداخيلها فضلاً عن بعض المدَّخرات إن كانت موجودة تسحباً للطوارئ المتعددة التي تحصل عادة في حياة الناس.

والذي يدفع بالطبقات المرفهة الحاكمة إلى إصدار مثل تلك القرارات الجائرة هو الاستهتار والاستهانة وعدم اعتبار قيمة الإنسان عندما لا يملك المال والقوة والسلطة

فتستقوي الطبقة الحاكمة بما تحت يدها من وسائل السيطرة وتمارس هوايتها في تعذيب الناس والتضييق عليها في عيشها وراحتها، ويقول "قده" (والذين يتصورون أن الرأسماليين والمرفهين واللا مبالين ينتبهون بالنصيحة والموعظة والحكمة وينضمون إليها ويساعدونهم فإنهم كمن يدق ماءً في "هاون"...).

أليس هو هذا حال حكومتنا في لبنان التي صمَّت آذانها وسدَّتها وكأنها لم تسمع كل تلك الاعتراضات على قراراتها المتعسفة غير المبالية بحقوق الفقراء والطبقات العادية من أبناء هذا الشعب الذي اكتووا وما زالوا يكتوون بنار القرارات الهمايونية للحكومة الساكنة في أبراجها العاجية، أو كأنها حكومة تسكن في المساء وليست مرتبطة بشعب أو مسؤولية عن إدارة أمور دولة ومجتمع وكيان؟.

بل يعتبر الإمام "قده" أن مثل هذه الطبقات عندما تحكم فإنها لا تقيم وزناً للجهاد والثورة ضد أعدائها، بل ترضخ لهم وتستسلم لأن إرادة نعيم الدنيا والسعي وراء مفاتنها ومباهجها يمنعها من سلوك سبيل الجهاد لما فيه من التعب والبذل في التوجه المخالف لنفسياتهم المريضة الساقطة أمام الدنيا واللاهثة وراء منافعها ويقول (إن موضوعي الكفاح والرأسمالية، والثورة وطلب الراحة، وإرادة الدنيا والتفتيش عن الآخرة مقولتان لا يجتمعان أبداً...).

ثم يبين الإمام "قده" أن هؤلاء المستضعفين وأبناء الطبقات المحرومة هم الأوفياء المخلصون الذين يقفون مع من يساعدهم ويدافعهم عنهم في مواجهة الطبقات الحاكمة والمستغلة باعتبار أنهم الضحية المباشرة لكل ما يتنعم به أبناء الطبقات المرفهة والمسيطرة على المال والسياسة والاقتصادية والإدارة في الدول التي لا تقيم أنظمتها على أسس العدالة الإنسانية والاجتماعية، أو تراعي تلك الأسس نصوصاً ولكنها لا تطبقها عملاً وقرارات.

ومن هنا يعتبر الإمام "قده" أن تخليص المجتمعات من مفاسد هذه الطبقات مطلوب إذا كان المراد هو حفظ حياة الناس من الانحراف والفساد وبأنواعه، لأن مثل هذه الطبقات هي مصدر كبير ومهم للمفاسد الأخلاقية، خاصة إذا كان النظام

من هذه الطبقة ويرعاها ويحميها كما هو حال النظام عندنا وفـي الكثيـر مـن دول العالم، ويقول "قده" (إن أخلاق الساقطين وملكية الجنائن وسكن القصور يبعث على الانحطاط الخلقي، ويجب أن نجهد في تخليص الأمة من أخلاق أصحاب القصور).

ولا شك أن الحكومة الحريرية سواء الأولى أو الثانية هي مصدر للكثير من هـذه المفاسد التي بدأنا نسمعها في أحيائنا وأوساطنا نتيجة الإفقار المعتمد الذي تمارسه هذه الحكومة عبر قراراتها وعملها الذي يعطي القيمة للحجر أكثر مما يعطي القيمـة للبشر.

لهذا يعتبر الإمام "قده" أن الذين يستطيعون أن يـشعروا مـع الفقـراء ويتحسـسوا مشاكلهم هم الذين عاشوا مع الفقراء وتربوا وكبروا معهم وبينهم، ويقول "قـده" (... ولكن الذين تربوا وكبروا في هذا المجتمع وأدركوا وأحسوا مـا هـو الفقـر، ورأوا وذاقوا الفقر، وكانوا يلمسون ما هو الفقر، هؤلاء هم الـذين يـستطيعون أن يهتمـوا بحال الفقراء).

وهذا المعنى من الإحساس بالمسؤولية تجاه الفقراء والمستـضعفين متحقـق فـي دولة الإسلام كما يقول الإمام "قده (... يجب أن نسعى إلى أن تبقى هـذه الوضـعية "الاهتمام بالفقراء" محفوظة بيننـا، فـي مجلـسنا، فـي مؤسـساتنا الحكوميـة، عنـد مجاهدينا، في جيشنا والقوات المسلحة، يجب أن تبقـى هـذه الروحيـة فـي قوانـا القضائية، يجب أن يبقى التوجه إلى الله محفوظاً...).

والحمد لله رب العالمين

واجبات القيادة عند الإمام "قده"

تميزت مسيرة الإمام الخميني "قده" بحسٍ عال من المسؤولية تجاه قـضايا شـعبه وأمته، وأعطاها كل ما استطاع وقدر عليـه مـن جهـد وتـضحية وصـل إلـى حـد الاستبسال والاستعداد لبذل نفسه الشريفة في سبيل المبادئ والأهداف التي سخر لها حياته ونذر لها عمره، وتمكن بسيرته هذه من أن يكون المثل والأنموذج الأرقى بعد

النبي (ص) والأئمة (ع)، بل يمكن اعتباره بحق المجسد الأقـرب لنمـوذج القيـادة المعصومة من الخطأ والزلل.

أول ما يطالعنا في شخصية الإمام "قده" ذلك التأهب الـدائم بـلا كلـل أو ملـل لتحمل المسؤولية كاملة عن قضايا أمته ويقول "قـده" (إن شـاء الله تعـالى سـوف أمضي عمري في سبيل الله تعالى الذي هو "خدمتكم"... إنني أواصـل الخدمـة هنـا الآن، في الثورة الإسلامية، خدمة الشعب المسلم، فليس موضوع المكان مطروحاً ولا المشقة في المكان، إن المطروح إنما هو موضوع الأمة وصوت الضمير... إن الـذي يسعدني في هذا المكان الذي يسبب الألم والمشقة إنما هو خدمتكم...).

وبذلك يطرح الإمام "قده" أن الواجب الأهم للقائـد لـشعب مـا ولأمـة مـا هـو استعداده لخدمة قضاياها وحمل همومها والدفاع عنها، وأن يكون قادراً على إكمال المسير إلى جادة النصر أو الاستشهاد من دون تراجع أو تردد أو استسلام، وفي هذا يقول "قده" (إنني أقدم عمري المتواضع وغير الكفؤ على طبق الإخلاص من أجـل خدمة الإسلام والشعب الشريف).

وقد تجلى هذا الإحساس الرائع والراقي بالمسؤولية في الكثير من مواقف الإمـام التاريخية في مسيرة الجهاد الطويلة التي قادها بدءاً من بيانه الذي أصـدره بمناسـبة مجزرة الخامس عشر من خرداد والتي اقترفها نظـام الـشاه لعلـه يـسكت أصـوات المعارضة وعلى رأسها صوت الإمام "قده" وصولاً إلى مجريات سـنة الثـورة حتـى الانتصار ووصولاً إلى الحرب الإيرانية العراقية التي افتعلتها القوى الكبرى وحركت النظام العراقي ليكون رأس الحربة لذلك العدوان الظالم، وإلى أن نصل إلـى فتـواه الشهيرة بقتل المرتد "سلمان رشدي"، حيث كنا نرى فـي كـل تلـك المواقـف أن مصلحة الإمام والإسلام هي الحاكمة على كلٍ من تلك المواقف الرائدة والشجاعة، وهذا هو التجسيد الحقيقي لمن يريد أن يقود شعباً أو ثورة ويتحمل المسؤولية أمام الله وأمامهم.

ومن هذه النظرة بالتحديد يؤكد الإمام "قده" بأنه عندما يصدر حكماً أو قراراً فإنه لا يكتفي بذلك من دون نظر إلى النتائج المترتبة، وإنما يلاحق ذلك القرار ليضمن قدر المستطاع تحقيق الأهداف المرجوة منه، ويقول "قده" (إنني لست ممن إذا أصدر حكماً يجلس بعده مكتوف اليدين، إنني اتابعه، وإذا لا سمح الله وجدت في وقت ما أن مصلحة الإسلام تقتضي مني أن أتكلم فسوف أتكلم وأجدُّ في متابعة كلامي...)، وهذه ميزة مهمة من مميزات القيادة التي لا تكتف بإصدار التوجيهات ثم تترك مهمات التنفيذ بلا مراقبة وضبط ومحاسبة، وإنما تلاحق كل ذلك لضمان سلامة التنفيذ، لأن ذلك يلعب دوراً رئيساً في غرس حس المسؤولية عند أولئك المكلفين بالعمل الإجرائي الميداني.

وانطلاقاً من ذلك يشرع الإمام "قده" في تشجيع كل القادرين على حمل المسؤولية لأن يقوموا بواجباتهم تجاه الأمة أيضاً طالما أنهم يضعون أنفسهم في ذلك الموقع المهم والحساس ويقول (إنني أرى من واجبي أن أذكر، وطالما أن صوتي يصل إليكم فسوف أصرخ، وطالما أن القلم يعينني سوف أنشر وأكتب، وإذا رأى الآخرون ذلك واعتقدوا بأن الأمة الإسلامية هي أمتهم فإنه يترتب عليهم ما يترتب عليَّ).

والنقطة الأبرز في هذا المجال هي أن الإمام "قده" يرى أن القيام بالمسؤولية تجاه الإسلام والأمة هو التكليف الإلهي الشرعي الذي سيحاسبنا الله عليه إن انحرفنا عنه أو قصرنا في العمل من أجله، ويقول "قده" (إن تكليفنا هو أن نقف في وجه الظلم. إن تكليفنا هو أن نكافح ونعارض الظلم، وإذا رأى الآخرون ذلك واعتقدوا بأن الأمة الإسلامية هي أمتهم فإنه يترتب عليهم ما يترتب عليَّ، وإذا استطعنا أن ندفعه إلى الخلف فبها ونعمت، وإذا لم نستطع فإننا نكون قد عملنا بتكليفنا، ويجب أن لا نكون خائفين من أن نُهزَم، أولاً: نحن لا نُهزَم فالله معنا، وثانياً: على افتراض أننا هُزِمْنا هزيمة ظاهرية، فإننا لا نُهْزَم معنوياً، لأن النصر المعنوي إنما هو للإسلام، للمسلمين ولنا، يجب أن تكون مقتدرين وأن تثوروا في مواجهة العقبات. حافظوا على وحدتكم وعلى توجهكم لله).

من هنا نرى قيام الإمام ″قده″ بواجباته كاملة تجاه الأمة، فقد عانى السجن والنفي وتحريك المؤامرات ضد شخصه لتشويه سمعته وعُرِضَتْ عليه المغريات المالية أيضاً، وكل ذلك لم يستطع أن ينال من عزيمته وتصميمه على تحمل المسؤولية حتى فتح الله على يديه ذلك الفتح العظيم الذي ما زلنا نعيش فصوله الرائعة التي نقلتنا بفضل الله وقيادة الإمام ″قده″ إلى موقع متقدم جداً على طريق التحرر من كل عبوديات الأرض للوصول إلى العبودية الحقة لله رب العالمين، وإن غداً لناظره قريب.

والحمد لله رب العالمين

طريق الجهاد المقدس عند الإمام ″قده″

(الجهاد باب من أبوب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه).

هذه الكلمة الرائع قد صدرت عن أمير المؤمنين (ع) في بداية خطبته المعروفة بـ″الجهاد″ والتي يوضح فيها العظمة والعزة والكرامة عندما تسلك الأمة سبيل الجهاد المقدس ضد الأعداء، ويكشف فيها أيضاً الذلة والهوان والصغار عندما لا تتحمل الأمة مسؤولية هذا الجهاد عندنا يسعى الأعداء لمحاربتها وكسر شوكتها ومصادرة إرادتها وقرارها.

هذه الرؤية المستنيرة للجهاد هي التي آمن بها الإمام الخميني ″قده″ وانطلق يقود شعبه ومن وراء ذلك الشعب أمته ليفتح أمامها أبواب العزة التي كانت قد سُلِبَتْ على يد المستكبرين، وليعيد إليها كرامتها المهانة لتشعر بقيمة وجودها الذي كان قد تحول بيد الحكام الساقطين أمام السلطة والحكم إلى مجرد وجود كمي لا أهمية له ولا وزن في ميزان السياسة العالمية، ولا يلعب أي دور فاعل على مستوى تقرير مصير هذه المنطقة الإسلامية من العالم على الأقل، وأصبحت الأمة كريشة في مهب الريح تسقط أمام كل أنواع الضغوطات وتنهزم أمام أقل الأعداء شأناً وقوة.

الإمام الخميني "قده" الذي عاش مرارة ذلك الواقع وعانى الأمرَّين من هذا السقوط المريع للأمة، وجد أن الطريق الوحيد المفروض اتّباعه لإنقاذ كل التاريخ المشرف للمسلمين، لفتح أبواب المستقبل الواعد هو "الجهاد"، خصوصاً في ظل وجود القوى الاستكبارية الظالمة التي تمارس أبشع أنواع الهيمنة والاستغلال للشعوب ومواردها وأقسى أشكال القهر السياسي على الأنظمة الدائرة في فلكها.

وقد خاطب الإمام "قده" الحكومات الإسلامية تارة والشعوب الإسلامية تارة أخرى، أو الحكومات والشعوب معاً، ولم ينسَ أيضاً خطاب الشعوب المستضعفة من دول العالم الثالث التي تعيش نفس أوضاع عالمنا الإسلامي.

إلا أن تركيزه الأكبر في بداية نهضته المباركة كان على الشعب الإيراني المسلم الذي عرف كيف ينقله تلك النقلة النوعية فيحوله إلى شعب مجاهد بأكمله يعيش روحية الجهاد والبذل والفداء والتضحية، وانطلق ذلك الشعب العظيم غير مبالٍ بالدماء التي تسيل طالما أن الهدف أعظم من كل ذلك الثمن الذي دفعه، ويقول (الآن وقد أصبحت أيها الشعب المسلم الإيراني على مفترق طريقين: طريق السعادة والمجد الأبدي في ظل الجهاد الوارف في سبيل الله والدفاع عن الإسلام، وطريق العار والذل الأبدي،... وأنا واثق من أن شعبنا لا ولن يميل إلى العار..).

ويقول "قده" أيضاً (إن نضالات وطننا عقائدية، والجهاد في سبيل الله لا يقبل الهزيمة، وهو يعبئ جميع أنحاء الوطن في اتجاه واحد ويزيح من أمامنا جميع المشكلات والمصاعب، وإنها لمنتصرة تلك الأمة التي اتخذت طريقاً مستقيماً إنسانياً لها ونهضت للجهاد المقدس في سبيل الله...).

إن تلك الصرخة الخمينية التي هي الصدى والترجمة العملية للصوت الحسيني الهادر والنداء العلوي المدوي قد وصلت ترداداتها إلى كل قلوب وعقول وأسماع المسلمين في العالم، خاصة بعد الانتصار الكبير والعزيز الذي حققه الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني "قده".

وهذا كله ما أرعب الدول الاستكبارية التي عملت جاهدة طوال عقود على تركيز مفاهيمها القائمة على نشر الذعر والخوف والإرهاب في نفوس أبناء الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها حتى تبقى خاضعة ذليلة أمام تلك القوى، ولهذا شرعت تلك الدول المستكبرة بإعلامها المضاد وسياساتها القائمة على القهر للآخرين واستعبادهم بالهجوم المضاد لمنع تلك الثورة الإسلامية من أن تكون الأمل البراق للشعوب الإسلامية الأخرى، وعملت على إسقاطها لكي لا تكون النموذج الذي تحتذيه الدول المحيطة بها لأن ذلك يشكل خطراً عظيماً ومؤكداً على كل ما يمثله الاستكبار من مصالح ومنافع سلبية يأخذها من طريق سعادة الأمة وهنائها.

ومع كل ذلك لم نجد أن الإمام "قده" قد ضعف أمام كل هذا الهجوم المضاد العنيف والشرس والشامل الذي اتحدت فيه كل القوى المتضررة على المستوى العالمي وكل الأنظمة الخائفة في عالمنا الإسلامي، وإذا به "قده" يقول (إنا نقاتل لكي نرفع الفتنة من العالم) وليس لكي ننتصر على النظام الكافر في العراق فقط.

إن تلك الروح الجهادية الخمينية هي التي ما زال الأعداء يهابونها ويخافون منها، لأنها الروحية التي استطاعت أن تنقل الأمة دفعات قوية على طريق استعادة الهوية والدور والموقع، وليس أدل على ذلك من كل ما تقوم به أمريكا اليوم من محاولات عزل الروح الخمينية عبر الدعوة إلى فرض الحصار المتشدد على إيران الإسلام، وكذلك ما يقوله قادة العدو الإسرائيلي من أن "الخمينية من دون الخميني هي التي يجب على الجميع أن يتحد ليحاربها".

إن هذا كله ينبغي أن يكون واضحاً أمام الأمة لكي تدرك يقيناً أن الطريق الوحيد لاستعادة كل الحقوق السلبية ولاسترداد القدس وأرض فلسطين وتحرير الأمة من قبضة أمريكا "أم الفساد والشيطان الأكبر" في العالم هو سلوك خط الجهاد الذي أنتج حتى الآن الكثير، وما زال هذا الخط قادراً على تحقق إنجازات أكبر وأعظم وأهم لمصالح الأمة وشعوبها ومستقبلها.

والحمد لله رب العالمين

الشهادة عند الإمام الخميني "قده"

الشهادة في سبيل الله من السمات البارزة والعلامات المميزة للخط الإلهي الرسالي العام، فهي ميراث الأنبياء وشعار الأولياء من مواقع جهادهم ومعاناتهم وتحملهم لكل أنواع البلاد والمصائب من أجل هداية الإنسانية وإرشادها، ولهذا نجد أن هذه المكانة الرفيعة للشهادة في العقيدة الإسلامية قد جعلت من المجاهدين الرساليين أبطالاً لا يهابون الموت ولا يخافون من الوصول إليه، بل قد يتسابقون إلى هذا النوع من التضحية طالما أنه يوصل إلى الهدف الأسمى وهو "الرضا الإلهي" و"العطاء الرباني" و"العيش الرغيد" في الجنان التي فيها "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر".

ويكفي أن نذكر الآية التي تقوم ﴿ولا تحسبن الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرْزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله...﴾، ونذكر حديث رسول الله (ص) (إن فوق كل ذي بربرٍ حتى يُقتَل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتِل في سبيل الله فلا برَّ فوقه).

إلا أن النقطة المهمة هنا "من هو الشهيد"؟ لأن الذين قد يموتون في سبيل القضايا الكبرى كثيرون، فهل ان مطلق من مات في سبيل قضية سُمِّي شهيداً؟ أو أن هذه التسمية بما تحمل من معاني القداسة والتضحية والإيثار وبذل أغلى ما وهب الله للإنسان وهي "الحياة" مختصة بنمط معين من القضايا؟.

لا شك أن الموت أو القتل في سبيل قضايا الحرية والكرامة وعزة الشعوب أمر جيد بحد ذاته، لكنه إذا كان ناتجاً عن ارتباطات دنيوية مع بعض القوى الكبرى ضد بعض آخر منها، فمثل هذا القتل لا يمكن اعتباره من نوع الشهادة المقدسة، خاصة إذا كان القتل قد نتج من مواقع التبعية أو التأثر بالقوى الاستكبارية، لأن المقتولين في مثل هذه الحالة ليسوا شهداء بل هم أقرب إلى المرتزقة الذين رضوا بأن يتخلوا

عن تاريخهم وتراثهم وقبلوا أن ينفصلوا عن أمتهم وتعاونوا مع أعدائها من اجل ما كان يعتقدون وهماً أنه طريق النجاة، بينما كانوا يسوقونها إلى حيث القيود والأغلال والاستعباد، لكن عبر رفع شعارات الآخرين البراقة التي تستهوي المضطهدين أو المقهورين، وهي تحمل في الحقيقة كل أنواع السموم المهلكة والسبل المنحرفة المضِّلّة.

ولهذا نرى أن الإمام الخميني "قده" يعتبر أن خط الشهادة هو الذي يندفع فيه الإنسان في خط الجهاد، في سبيل الله، ويُقِّدم حياته ويُقْبلُ على سفك دمه بيد الأعداء من اجل إنقاذ الإنسانية من متاهات الضلال ودروب الانحراف العقائدي والسلوكي ليعيدها إلى الصراط المستقيم الذي يضيء لها درب الحياة ويمهد لها الحياة الآخرة في ظلال الرحمة الإلهية العظيمة.

ولذا يقول "قده" (إن خط الشهادة الدامي هو خط آل محمد وعليٍّ، وهذا الافتخار إرث وصل من آل بيت النبوة والولاية إلى ذرية هؤلاء العظام وإلى أنصار خطهم ومحبيهم... إنهم أنصار خط سيد الشهداء الذي ضحى بالطفل الذي عمره ستة أشهر إلى الرجل العجوز ذي الثمانين عاماً في سبيل الإسلام والقُرآن، وروى الإسلام العزيز وأحياه بدمه).

فالشهداء إذن في الحقيقة هم هؤلاء الذين ينطلقون من خط الله ليقاتلوا ويجاهدوا في سبيله، وإن وُفِّقوا للقتل كانوا هم الشهداء الحقيقيين.

إنهم يقاتلون لا لكي يموتوا فقط، وإنما ينصروا أهدافهم التي آمنوا بها، ويحفظوا منطلقاتهم التي انطلقوا منها، إنهم الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، من دون ارتهان أو اتكال على غير المدد الإلهي والعون الرباني، ومن دون ارتباط بالقوى الكبرى أو القادرة التي يكون الانتصار بالاعتماد عليها هو مجرد نوع من الانتقال من خانة مستكبر إلى خانة أخرى مع بقاء كل أجواء الفساد والانحراف والضلال على حالها.

من هنا يقول الإمام ″قده″ (إن الشعب الذي يعتبر الشهادة سعادة هو شعب منتصر. إن الشعب الذي يعتبر نفسه وكل ما لديه هو من أجل الإسلام هو شعب منتصر. إن الإسلام يفتخر الآن بهؤلاء الشهداء وبمربِّي الشهداء ويدعو الناس بـاعتزاز للثبـات، ونحن مصممون على تذوق طعم حلاوتها، وعلى أن نسلِّمه الروح هذه والتـي هـي منه).

إن هذا النوع من الشهادة وهذا الصنف من الشهداء هو الذي صنع قـديماً العـزة الإسلامية، وهو الذي صنع اليوم ويكتب التـاريخ الجديـد للأمـة الإسـلامية بدمـه المسفوح في سبيل الله، في سبيل المبادئ وفي سبيل القيم الإنسانية.

والحمد لله رب العالمين

أسباب النصر عند الإمام ″قده″

عندما نتأمل في خطب الإمام الخميني ″قده″، وكلماته التي كـان يعبـر بهـا عـن انتصار الثورة الإسلامية في إيران، يمكن لنا أن نستنتج منها الأسباب التي أدت إلـى الانتصار العظيم للثورة الإسلامية، ومما لا شك فيـه أن هـذه الأسـباب لا تخـتص بشعب إيران المسلم، بل يمكن تعميمها على كل شعب مسلم أيـضاً إذا أخـذ بهـا كونها مأخوذة من الشريعة الإسلامية، وفضل الإمام في هذا المجال أنه نفض الغبـار عنها، وقاد الشعب من خلال قناعاته بها، فتحقق ذلك الإنجاز العظـيم علـى يديـه. ويمكن بتتبع كلمات الإمام ″قده″ أن نحدد الأسباب التالية:

أولاً: ″استناد الثورة إلى القدرة الغيبية″: وهذا ما نـراه جليـاً فـي كلمـات الإمـام رضوان الله عليه، ويقول (إن تقدم هكذا ثورة بيد خالية وانتصارها على هكذا نظـام وحشي تحميه قوى الاستكبار إنما كان أمراً غيبياً، فلا يصيبنا الغرور فنعتقد أننا نحن الذين أحرزناه).

ثانياً: ″إسلامية الثورة″: أي أن سبب نهوض الشعب وقيامه لم يكن بسبب مـسائل سياسية أو اقتصادية كالنفط والوضع المعيشي السيء، وإنما كانت ثورة مـن أجـل

الإسلام بما يحويه من قيم ومبادئ تمثل الإنسانية بأروع صورة الجميلة والمشرقة، ويقول (إن سر انتصارنا يكمن في أن ثورتنا لم تكن سياسية فقط، ولم تكن من أجل النفط، بل كان لثورتنا ناحية إسلامية ومعنوية محضة).

ثالثاً: "وحدة كلمة الشعب": حيث يعتبر الإمام "قده" أن اتحاد مختلف قوى الشعب كان سبباً رئيساً للانتصار، باعتبار أن هذا الاتحاد يشكل عقبة في وجه السلطة إذا ما حاولت أن تشتت تلك الوحدة عبر استمالة بعض فئات المجتمع بإغراءات أو تهديدات محددة، ويقول (... واجتماع الشعب في جميع أنحاء البلاد مع وحدة الكلمة من أجل ذلك الدافع وذلك الهدف...).

رابعاً: "الاعتماد على سلاح الشهادة": وهذا السلاح يعتبره الإمام "قده" من أهم الأسباب للانتصار، لأن النهوض لابد أن يستلزم دفع ثمن للخلاص من طغيان وجبروت الحكام الظالمين وداعميهم من المستكبرين، وهذا السلاح هو المخيف دوماً، لان الظالم يخيف الناس به، فإذا تجاوزت الجماهير هذا الخوف وأبدت كامل استعدادها للقتل والموت في سبيل المبادئ والأهداف المؤمنة بها، فلن يبقى بيد الظالم سلاح أقوى يُسْكِتُ به الثائرين، ويقول الإمام "قده" (... فقد كان شبابنا كما كان المسلمون في صدر الإسلام يتمنون الشهادة ويستقبلونها، لقد كان شبابنا يعتبرون الشهادة سعادة. سر الانتصار يكمن في الاعتماد على القرآن والشهادة التي هي طريق مقدس، ولذلك انتصر شبابنا في الوقت الذي كانوا يواجهون الدبابات بأيد خالية. لقد انتصرت القبضة على الرشاش).

خامساً: "القيادة الصالحة والرشيدة": لأن مثل هذه القيادة يمكن للإنسان أن يأمن لها فيسلمها دينه ودنياه، لأن التزامها الدقيق بالمواصفات الشرعية المطلوبة يجعلها في مأمن من الانزلاق أو الانحراف، ولن تتخاذل أو تتخلى عن الناس كما قد تفعل القيادات غير الملتزمة كما هو الملاحظة في معظم الثورات التي سقطت قبل النضوج، أو قبل الوصول إلى الهدف، مضافاً إلى أن القيادة من منظرنا العقائدي تعتبر أن ما تقوم به هو تكليفها الشرعي قبل أي شيء آخر، وأنها ستكون مطالبة عند

الله في حال عدم قيامها بهذا التكليف الإلهي العظيم، ولهذا يقول الإمـام "قـده" (إن علاقة علماء الإسلام بالبلاد والقوانين الإسلامية علاقة إلهية لازمـة لا تنفـك أبـداً، فنحن مأمورون من الله تعالى بحفظ البلاد الإسلامية واستقلالها، ونعتبر أن الـسكوت أمام هذه الأخطار المتوقعة على الإسلام وعلى استقلال الوطن جريمة وذنـب كبيـر وموت أسود عريض. إن إمامنا العظيم أمير المؤمنين عليه السلام لا يجيز الـسكوت مقابل الظلم ونحن كذلك، فوظيفتنا إرشاد الأمة والحكومات وجميع الأنظمـة ولـن نتمنع عن القيام بهذه الوظيفة بعونه تعالى، فالسكوت على الظلم إعانة للظالمين في هذا الزمان).

هذا ما يحدده الإمام "قده" كأسباب كلية لانتصار ثورة أي شعب مسلم. ومن هنا كان انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران التي اعتبرت من أبرز الأحداث التي شهدها القرن العشرين، إن لم نقل بأنها أعظم حدث نظراً لفرادة هذه الثورة في زمن تحولت فيه القناعات عن الدين واعتباره أفيوناً ومخدراً للشعوب، وساد منطق العلم والأسباب المادية للثورات وتغييب كل العناصر غير المادية عن التأثير في مجريات الأحداث والعصر.

ومن أعظم الإنجازات التي تحققت بانتصار الثورة الإسلامية هو عودة الإسلام إلى المسرح العالمي، ورجوع المسلمين إليه لينطلقوا منه في واقع حـركتهم المعاصـرة ليكون ذلك مقدمة لنجاتهم من كل ما يعيشون فيه من قلق وخوف، ولتحرير أمـتهم من قبضة قوى الاستكبار العالمي التي لا تريد الخير والسلام لهـذه الأمـة العظيمـة وتريد لها البقاء في الذل والهوان.

وإن أعظم وفاء لذكرى الإمام الراحل "قده" هو أن نحافظ على الـسير فـي هـذا الخط الذي أعطى الأمة أكبر إنجازاتها في هذا الزمن، وقـد صـدقت كـل تنبـؤات الإمام، فما أن تمسك المسلمون بطرفٍ من الأسباب التي ذكرهـا وأوضـحها حتـى انتقلت الأمة كلها من مواقع الدفاع إلى الهجوم، ومن اليأس إلى الأمل، ومن الضعف إلى القوة، ومن التمزق والتفرق إلى الانسجام والتآلف والتوحيـد فـي مقابـل كـل

الأعداء، ولن يكون يوم الانتصار العظيم للأمة ببعيد إن بقيت على الخط الذي تسلكه الآن بفضل ذلك القيادي الرباني الملهم الذي أحياها من الموت المعنوي الذي كانت فيه.

والحمد لله رب العالمين

الصبر طريق النَّصر

من الواضح جداً أن طريق الجهاد الذي يسلكه المسلمون الثائرون في هذا العصر ضد كل ألوان الفساد والانحراف الاستغلال والاستعباد لن تكون طريقاً سهلاً مفروشاً بالورود والرياحين، بل هو طريق صعب وطويل وشاق، وهذا يعني أن المتابعة في هذا الطريق تحتاج إلى المعدات اللازمة والضرورية من اجل بقاء القدرة والإرادة على المواصلة والاستمرار.

وعلى رأس الاحتياجات المطلوبة "الصبر" في مواجهة كل هذا الجو الذي نقاتله ونحاربه، ولا شك أن هذا الصبر محتاج إلى الارتباط القوي بالله عز وجل والثقة به في كل المراحل سلبية كان أو إيجابية، لأن النجاح الدائم في الخطوات مدعاة للغرور، والفشل الدائم مدعاة للإحباط واليأس.

وما بين النجاح في بعض ما نقوم به، والفشل الذي نصاب به، على المجاهد أن يعيش روحية الصبر والتسليم لله حتى يتمكن من أن يستمر في البذل والعطاء، لأن الوصول إلى الأهداف الكبرى والعظيمة بالمقياس الإلهي يحتاج إلى دفع الأثمان الباهظة أحياناً من الدماء والأموال والممتلكات والحزن والدموع وأنواع الابتلاءات المختلفة.

إلا أن كل ذلك ينبغي أن يكون تقديره عند المؤمن المجاهد الصابر إيجابياً طالما أن التكليف معمول به ولا تقصير من جانب المجاهد في ما يقول ويعمل، لأن الامتحان الإلهي قد يكون سبباً من الأسباب الرئيسية لتنزل النصر لأولئك الذين عاشوا روحية العطاء لله مع الصبر على كل المآسي في سبيل الوصول إلى المبتغى والمأمول.

والإمام الخميني المقدس ينظر إلى كل تلك الابتلاءات التي يعيشها المسلمون الثائرون في طريق ثورتهم وجهادهم على أنها الضريبة المفروضة والثمن الذي لابد من دفعه، طالما أن الهدف هو تحقيق الوجود الفاعل لشريعة الله في أرض الله عز وجل ويقول "قده" (إن الذي يهون الخطب هو أننا نتحمل المشاق في سبيل الإسلام...).

ثم يقول "قده" بأن تضحياتنا هذه ليست جديدة في مسار الأمة المسلمة على مر العصور، بل إن هذه الأمة قد ضحت في القرون الماضية ودفعت الكثير من أبنائها وممتلكاتها دفاعاً واستبسالاً لحفظ وصون الإسلام من كل الذين حاربوه عبر المراحل الماضية من تاريخه، ونحن في هذا الجهاد لسنا المؤسسين بل الأتباع لمن اختطوا خط الدفاع والجهاد والفداء وهم النبي (ص) وأئمة أهل البيت (ع)، ويقول (نحن نسير على خط أوليائنا ومعصومينا وخط رسول الله (ص)، فهم تحملوا أيضاً مشاق كثيرة والتي ربما ليس بمقدورنا تحملها، ولكننا أيضاً قطرة في بحره اللامحدود وبمقدار هذه القطرة نستطيع ويجب أن نضحي).

من هنا نرى بأن الإمام الخميني المقدس يرى أن ما ندفعه وما سوف ندفعه من جهود ومن كل وجود هذه الأمة لن يرقى إلى ما تحمله رسول الله (ص) وأهل البيت (ع)، وهذا ما يعني أن إلقاء حمل المسؤولية عن عاتق الأمة في هذا الزمن ليس وارداً عنده، بل لا ينبغي أن تفكر الأمة يوماً بهذا التفكير السلبي الانهزامي، لأنه تعبير عن اليأس والقنوط وقلة الصبر وضآلة القدرة وانعدام الإرادة، ويقول "قده" (إن الهدف الكبير له أيضاً إشكالات وابتلاءات كبيرة..).

فطالما أن الهدف الذي وضعناه لجهادنا هو الدفاع عن دين الله والوصول به إلى المقام الذي يرضي الله عنا وعن مسيرتنا، فهذا بنفسه عنوان مشير إلى مقدار الصعوبات أو الابتلاءات أو حجم الضغوطات التي يمكن ان نتعرض لها في خط سيرنا نحو ذلك الهدف الكبير.

لهذا يقول الإمام "قده" عن الشعب المسلم في إيران (... إن شعبنا المقاوم كان يعلم ومنذ اليوم الأول للجهاد انه يواجه كل القوى الكبرى والاستكبار بيد خالية... ونحن يجب أن نهيء أنفسنا لهذه المواجهة الحسينية حتى النصر الكامل، فإن الموت الأحمر أحسن بمراتب من حياة الذل السوداء...).

إذن وفق ما يقول الإمام "قده" فإن النصر لا يمكن أن يتحقق بلا دفع الأثمان المطلوبة، وهذه الأثمان كلما كان دفعها من موقع الرضا والتسليم لله كلما كانت أزكى وأطيب أثراً ونتاجاً وأسرع حركة نحو المطلوب الأسمى.

من هنا، بما أن هدفنا هو نفس هدف رسول الله (ص) فإن الإمام "قده" يرى أن المسلمين ينبغي أن يتخذوا من جهاد الرسول (ص) وصبره قدوة ونموذجاً، ومن عطاء الأئمة (ع) وصبرهم على كل أنواع البلاء وسيلة للقوة والإرادة والعزيمة وشحذ الهمم، ولهذا يقول "قده" (إذا أراد الإنسان أن يصل إلى الحق، وإذا أراد أن يطبق الإسلام الحق في بلدٍ ما، يجب ان يصبر، هكذا كان يصبر أولياء الله سلام الله عليهم في كل المراحل والمصائب والمشاكل...).

وبنظرة سريعة إلى واقع الأمة اليوم نرى أنها حققت خطوات مهمة إلى الإمام على طريق الاقتراب من الهدف. وصحيح أن المراحل لم تُطْوَ جميعاً، إلا أن ما تحقق حتى الآن يعطي الصورة الواضحة عن المستقبل العظيم الذي ينتظر هذه الأمة التي تضحي اليوم ضد كل أعداء الداخل والخارج، وتدفع ضريبة الدم من مواقع الصبر والتوكل والاستعانة بالله، ولن تذهب تضحيات هذه الأمة سدى وإن طال أمد الصراع، فغيرنا عمل منذ عشرات بل مئات السنين على السيطرة والاستعباد لهذه الأمة، بينما نحن وفي ظرف فترة قصيرة جداً لا تتجاوز العقد الواحد من السنين استطعنا التقدم بخطوات كبيرة وواثقة نحو الهدف الكبير الذي يملأ الآن قلوب أكثرية أبناء الشعوب الإسلامية ولو لم يكونوا من الملتزمين الفعليين بهذا الدين لأسباب عديدة ومتنوعة.

والحمد لله رب العالمين

مفهوم النصر عند الإمام "قده"

عندما يريد الإنسان أن ينتصر لعقيدة ما أو قضية ما، فهل يسلك سبيلاً يوصله إلى الانتصار في الشكل، والفشل في المضمون على مستوى القضية التي يحمل؟ وبعبارة أخرى هل يسعى نحو الهدف عبر الارتهان إلى قوة تمده بالوسائل والإمكانيات التي تحقق له ذلك ليصبح رهين إرادتها وأهدافها من دون اعتبار لقيمة القضية التي عمل لأجلها وللشعار الذي رفع؟ أو أنه يستند إلى عوامل القوة الذاتية ضمن سلوك محدد بعيد عن الارتهان من أجل الوصول إلى الهدف المنشود؟ والاستناد إلى العوامل الذاتية هل يقتصر على الموازين المادية والبحتة، أم أنها تمتد لتشمل العوامل الإيمانية الغيبية وتكون جزءاً مقوماً وأساساً على طريق الانتصار؟.

ثم إن الأسباب التي يثور الإنسان من أجلها ضد الواقع القائم هل تنحصر بالقضايا الدنيوية البحتة كالاقتصادية أو الطبقية أو العسكرية التي تؤدي غالباً إلى وقوع الظلم والاضطهاد والاستكبار؟ أم أن هناك أسباباً أعمق للثورة من هذه واهم هي التي تدفع الإنسان ليكون ثائراً كالدين المرتبط بتفسير أصل النشأة الإنسانية وأهداف وجودها الدنيوية ونتائج هذا الوجود على مستوى الحياة بعد الموت؟.

أغلبت الثورات التي حدثت في القرن العشرين وأكبر الحروب التي نشبت من أجل التحرير كانت تنطلق من الاستناد إلى القوى الخارجية من أجل الوصول إلى الانتصار، هذا من جهة، وأكثرها انطلق من أسباب دنيوية بحتة وفق العقائد والأفكار التي كان ينطلق منها أولئك الثائرون القاصدون لتحرير شعوبهم من نير الاستعمار، وهذا ما أدى بهم إلى أن يتحرروا من سلطة قوة كبرى ليقعوا فريسة بيد القوى الكبرى المواجهة لها على مستوى العالم، وهذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً على مستوى العالم الثالث الذي كان يعيش حالة من التقلب ما بين أمريكا وروسيا، وهذا الأمر بالذات هو الذي منع وما زال يمنع من نشوء قوة عالمية ثالثة تستطيع ان تنشر الأمن والسلام في ربوع العالم المستضعف، وتسمح لإنسان هذا العالم ببناء الحياة الحرة الكريمة بعيداً عن الارتهان وعن الاتكاء على القوى الكبرى المستكبرة. ولعل

أهم محاولة قام بها العالم الثالث هي فكرة إنشاء "عالم الحياد" بين الجبارين، التي سقطت بدورها بسبب ضعف التوجه السليم وضعف الإرادة عند زعماء هذا العالم وضعف الإيمان بقدرة الإنسان على أن يعيش الحرية والانعتاق في ذاته، وأصبح "عدم الانحياز" فكرة من دون مضمون، وإطاراً من دون واقع يحكي عنه، وهذا ما أدى إلى نشوء حالة شديدة من الإحباط أوصلتنا إلى اليأس من جهة، والارتماء في أحضان الشرق والغرب من جهة أخرى.

من هذا الجو ندخل إلى عالم الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، ذلك الإنسان العظيم الذي تمكن بثورته الرائدة وبقيادته الحكيمة لها من إعادة الأمل إلى الشعوب المستضعفة، وأثبت لها أن النصر ممكن بل واقع إذا توافرت أسبابه الموضوعية وتوافرت العقيدة الصلبة والحديدية التي تشكل الأرضية الصالحة للبناء الثوري الموصل إلى الهدف، وإن استلزم كل ذلك الوقت والجهد والتضحية، لأن مصير الشعوب يستحق دفع مثل ذلك الثمن الزهيد في مقابل المنافع العظيمة في حال الوصول إلى النصر من أبوابه الصحيحة.

فالإمام "قده" لم ينظر إلى النصر بمعناه المادي وهو انتصار على الحكم في إيران بأية طريقة كانت، وإنما نظر إليه بما هو نتيجة لمجموعة من العوامل الموضوعية وفق نظرة الإسلام الإلهي المصدر والسلوك والهدف، الذي يعطي الأبعاد الغيبية والعوامل الإيمانية الذاتية دوراً وحيزاً مهماً في تحقيق النصر على قاعدة ان الحق في واقعه منتصر أبداً ولا يعقل أن يخسر، ويمكن للحق ان ينتصر في الوقائع إن توفرت له الفئات المؤمنة به والعاملة في سبيله ضمن الشرط التي تجعل النصر حقيقياً في المضمون بالإضافة إلى الشكل الخارجي له، لأن الإمام "قده" ينظر إلى النصر الشكلي على أنه طريق ينبغي أن يوصل إلى إرساء المضامين التي من أجلها يثور الإنسان، وهذا يستلزم ان لا يستند الإنسان في حركته الثائرة إلى القوى التي يمكن أن تعيده إلى ما كان عليه بسبب الاستعانة بها لتحقيق النصر، ولهذا رفع الإمام "قده" شعاره المعروف (لا شرقية ولا غربية) لأنه كان لا يرى أي معنى لنصر يتحقق على

نظام تابع لأمريكا عبر الاستناد إلى المساعدة المقدَّمة من المعسكر الاشتراكي، لأن القضية بهذا الشكل ليست أكثر من تغيير عنوان المستكبر مع تعديل في بعض التفاصيل التي تعطي للثورة سمتها الحقيقية وبُعْدَها المطابق لفكرها الذاتي وقناعاتها الخاصة، هذا كله من حيث الوسيلة الموصلة أو التي ينبغي بها أن توصل إلى النصر.

وأما بلحاظ الأسباب الدافعة إلى الثورة، فالإمام "قده" لم يحصر أسباب ثورته بالظلم الاجتماعي المتعدد الأشكال والمظاهر، وإنما ربط قيام الثورة بالأسباب الأعمق المتصلة بأصل الوجود الإنساني وقيمه المعنوية والروحية الكبيرة التي كان ينظر إلى أنها هي الدافع والمحرك الأقوى وأن الأسباب المادية هي مجرد عوامل مساعدة تزيد من اندفاعة الثورة وحركة الثائرين لأنها النتيجة الحتمية لأي نظام لا يقوم على قاعدة الإيمان والعدل ولا تحكمه الضوابط والقوانين التي تحقق الأمن والسلام لأفراد الشعوب.

لهذا كان الإمام "قده" يعتبر أن انتصار الثورة الإسلامية في إيران على أنه هبة ومنحة من الله عز وجل وهي التطبيق العلمي لقوله تعالى ﴿إن تنصروا الله ينصركم...﴾ لأن ذلك الشعب قد تحمل مسؤولية الرسالة والدفاع عنها وقدم وضحى وجاهد مستنداً إلى قوته الذاتية وإيمانه القوي الراسخ بالله ووعده بالنصر، وتجاوز الأسباب المادية للثورة إلى الأسباب الأعمق والأدق والأكثر أهمية في الحياة، وفي هذا يقول الإمام "قده" (إن سر انتصارنا يكمن في أن ثورتنا لم تكن سياسية فقط، ولم تكن من أجل النفط فقط، بل كانت لثورتنا ناحية إسلامية ومعنوية محض، فقد كان شبابنا كما كان المسلمون في صدر الإسلام يتمنون الشهادة ويستقبلونها. لقد كان شبابنا يعتبرون الشهادة سعادة. سر الانتصار كان في الاعتماد على القرآن والشهادة التي هي طريق مقدس، ولذلك فقد انتصر شبابنا في الوقت الذي كانوا يواجهون الدبابات بأيدٍ خالية. لقد انتصرت القبضة على الرشاش وعلى الاستكبار، فيجب عليكم أن تحفظوا هذا الانتصار، وما دام شعبنا مع الله فهو منتصر، وما دامت

أمتنا مع القرآن فهي منتصرة، وما دامت راية الإسلام خفاقة فوق رأس أمتنا فهي منتصرة).

ويقول الإمام "قده" في نص آخر حول سر النصر وبقائه (لا شك أن سر بقاء الثورة الإسلامية هو نفسه سر النصر، والشعب يعرف ذلك، وسوف تقرأ الأجيال الآتية أن ركنيه الأساسيين هما "الدافع الإلهي" و"الهدف السامي للحكومة الإسلامية"، واجتماع الشعب في جميع أنحاء البلاد مع وحدة الكلمة هو من أجل ذلك الدافع وذلك الهدف... وإذا أردتم أن يستقر الإسلام والحكومة الإلهية وأن تُقْطَع أيدي المستعمرين والمستغلين الداخليين والخارجيين عن بلدكم فلا تُضيِّعوا هذا الدافع الإلهي الذي أوصى به القرآن الكريم).

هذا هو باختصار رأي الإمام الخميني "قده" في كيفية العمل من أجل الوصول إلى النصر الذي يمكنه أن يستمر ويدوم ويؤسس لحياة حرة كريمة لا يكون فيها الإنسان عبداً للقوى الاستكبارية في العالم.

الحمد لله رب العالمين

عاشوراء والإمام الخميني "قده"

من القضايا الرئيسية التي نالت قسطاً وافراً من فكر الإمام الخميني "قده" وسيرته كانت (قضية عاشوراء) تلك المجزرة الدموية التي ارتكبها أدعياء الإسلام، والمصيبة الكبرى التي حلَّت بأهل بيت النبي (ص).

ولا شك أن هذا الاهتمام نابع من الدور الكبير الذي لعبته عاشوراء في صياغة جانب مهم من جوانب شخصية الإمام "قده"، وهذا ما كان يظهر بوضوح على قسمات وجهه في نبرات صوته ومن خلال دموعه التي كانت تنساب من عينيه عندما كان يسمع مجالس عزاء أبي عبد الله الحسين (ع) التي رآها المسلمون بأجمعهم من تلك الشخصية المتأثرة بعاشوراء وما ترمز إليه من أبعاد إيمانية وما احتوته من تضحيات جسيمة.

ولهذا سوف نسير مع الإمام الخميني "قده" في نظرته لعاشوراء، لعلنا بذلك نستلهم الدروس والعبر من شخصية ذلك القائد الملهم الذي كان يقف كالطود الشامخ والجبل الراسخ في مواجهة أعاصير الفتن والمؤامرات، لكنه كان يطأطئ رأسه ويبكي وينتحب أمام عظمة الحسين (ع) وعطائه وسخاء أهل بيته وأصحابه في كربلاء.

(تأثير ثقافة عاشوراء على فكر الإمام الخميني "قده وحياته)

"محرم هو شهر النهضة الكبرى لسيد الشهداء (ع) وخير أولياء الله، الذي أعطى بثورته للبشرية تعاليم الصمود والثبات في مواجهة الطاغوت، فقد كان يرى أن طريق إفناء الظالم وتحطيم المستبد إنما هو بالتضحية والفداء في سبيل إحياء الشريعة".

نلمس من هذا النص العزم والإرادة والقوة الإيمانية الراسخة وتمام الاستعداد لبذل التضحيات الكبيرة من أجل حفظ الإسلام، ولا شك أن الإمام الخميني "قده" قد استقى كل هذا من الإمام الحسين (ع) الذي كان يرى مصارع أهله وأصحابه، بل هو الذي كان يأذن لهم للقتال والقتل في سبيل نصر هذا الدين، وهو مع كل تلك المناظر لا يتزلزل ولا يتنازل، بل يثبت ثبات الواثق بربه، المؤمن بقضيته، والحاضر للدفاع حتى الرمق الأخير.

هكذا جسَّد الإمام الخميني "قده" مواقف الحسين (ع) الكربلائية في كل مراحل جهاده، فلم يضعف ولم يتراجع ولم يضطرب أمام أية قضية من القضايا التي كان يدافع فيها عن الإسلام، بل كان يهجم بموقفه المبدئي ليقتحم به أسوار الأعداء ويلقي الرعب في قلوبهم والتشكيك في وقتهم، ويخرج منتصراً بدينه وأمته، فارضاً موقفه وإرادته على الجميع.

إن ذلك الاطمئنان والثبات في شخصية ذلك القائد التاريخي هو جزء من تأثير عاشوراء في فكر الإمام وحياته، ولهذا لم يكن إلا الإسلام في حياته، فإن اقتضت منه مصلحة هذا الدين أن يأخذ موقفاً كان لا يتوانى عن اتخاذه بغضِّ النظر عن

الأخطار المترتبة، لأنه كان يرى أن حفظ الإسلام هو أهم وأكبر بكثير من أية أثمان يمكن ان تدفعها الأمة في سبيل الحفاظ على ذلك الموقف الرسالي الحسيني.

بل نجد أن الإمام "قده" يعبر في بعض النصوص الواردة عنه بأنه سيبقى في خط الجهاد والدفاع حتى لو بقي وحيداً بلا ناصر ولا معين، ويقول "هيهات أن يسكت الخميني ويهدأ في مقابل اعتداء الأبالسة والمشركين على حريم القرآن وعترة رسول الله (ص) وأمة محمد (ص) وأتباع إبراهيم (ع) الحنيف، أو أن يقف مراقباً لمناظر ذلة وحقارة المسلمين. إني مستعد لأن أقدم دمي وروحي التي ليس لها قيمة من أجل أداء واجب الحق وفريضة الدفاع عن المسلمين، وأنا بانتظار الفوز العظيم بالشهادة. فليطمئن المقتدرون والقوى العظمى إلى أنه لو بقي الخميني وحده فسوف يكمل طريقه الذي هو الصراع مع الكفر والظلم وعبادة الأصنام...).

أليس هذا التصميم هو عينه تصميم الحسين (ع) على المضي عندما بقي وحيداً فريداً في كربلاء بعد استشهاد الأهل والأصحاب؟ والإمام الخميني "قده" لا يطلق هنا شعاراً، بل يعبر عن واقع كان يعيشه عندما حمل قضية الإسلام وكان وحيداً في أوائل نهضته.

حتى ان عشقه للشهادة كان عظيماً إلى الحد الذي لم يكن يرى فارقاً بين موته وحياته طالما أن كل ذلك من أجل الإسلام والدفاع عنه ويقول "إن تكليفنا هو أن نقف في وجه الظلم. إن تكليفنا هو أن نعارض ونجاهد ضد الظلم، وإذا استطعنا أن ندفعه إلى الخلف فبها ونعمت، وإذا لم نستطع فإننا نكون قد عملنا بتكليفنا، ويجب أن لا نكون خائفين من أن نُهزَم. أولاً، نحن لا نُهَزم فالله معنا، وثانياً: على افتراض أننا هُزِمْنَا هزيمة ظاهرية، فإننا لا نُهَزم معنوياً، لان النصر المعنوي هو للإسلام، للمسلمين ولنا...".

أليست هذه المواقف الخمينية هي الصدى أو الترجمة العملية للمواقف الحسينية الكربلائية؟ أليست تلك الروحية التي انطلقت منها مواقف الإمام الخميني هي بعض تلك الروح الحسينية؟

من هنا لا نرى فارقاً بين المواقف الجهادية المدافعة عن الإسلام ما بين الإمام الحسين (ع) والإمام الخميني "قده"، فالحسين (ع) بلسان الحال يقول (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني)، والإمام الخميني "قده" يقول (... قفوا ثابتين ولا تدعوا الخوف طريقاً إلى قلوبكم. إنكم منصورون إن شاء الله، فالحق معنا قَتَلْنا أو قُتِلْنَا، ونحن إلا قَتَلْنا في سبيل الحق فهذا نصر، وإلا قُتِلْنَا في سبيله فهو نصر أيضاً...).

ومن هنا نرى أن ثورة عاشوراء كان لها تأثير كبير على فكر الإمام الخميني "قده" وحياته، بل يمكن القول إن حياة الإمام الشريفة كانت الترجمة الواقعية لثورة الإمام الحسين (ع) في مبادئها ومواقفها الرسالية الخالدة.

(آراء الإمام الخميني المتنوعة حول عاشوراء)

لقد كان لآراء الإمام "قده" وما زال تأثير كبير على الساحة الإسلامية عموماً، وعلى ساحة أتباع مذهب أهل البيت (ع) خصوصاً. ويكمن سر هذا التأثير في الفهم الموضوعي والحركي لثورة عاشوراء ودورها عبر العصور في إبقاء جذوة هذا الدين العظيم وهاجة ومشتعلة.

ويمكن أن نجد في تراث الإمام الكثير مما تكلم به حول عاشوراء ويعبر فيه عن آرائه العقائدية والأخلاقية والفقهية والاجتماعية تجاه الثورة الحسينية وأبعادها، ويمكننا بالتحديد تفصيل ذلك على الشكل التالي:

أولاً: الآراء العقائدية: يرى الإمام "قده" أن الثورة الحسينية إنما هدفت إلى حماية أصل العقيدة والدين في مواجهة المؤامرة الأموية التي كانت تهدف إلى محوه. ومن أجل هذا وجب على المسلمين أن يتعاملوا مع هذه الذكرى تعاملاً متناسباً مع أهدافها، ولهذا يعطيها الإمام "قده" بُعْداً عقائدياً واضحاً لتكون جزءً من منظومة الشعائر الثابتة في هذا الدين وفي مسيرته، ويقول (يجب أن تبقى مجالس العزاء، ويجب على أهل المنبر ان يحافظوا على إحياء شهادة الإمام الحسين (ع)، ويجب

على الأمة وبكل قوة أن تحافظ على هذا الشعار الإسلامي، خصُوصاً انه بالمحافظة على إحيائه يحيا الإسلام، هذا ما ورد في حديث رسول الله (ص) إذ قال "حسين مني وأنا من حسين". كل هذا من بركات شهادة الإمام الحسين (ع)، مع أن العدو كان يريد القضاء على كل أثر للإسلام "لعبت هاشم بالملك فلا..." فمن هذا الكلام نعرف أنهم كانوا يريدون القضاء على أصل الإسلام...).

فإعطاء عاشوراء البُعد العقائدي ينزع عنها صفة المؤقت ويعطيها صفة الاستمرار والدوام في حياة الأمة مهما تبدلت الظروف والأوضاع، لأن الحاجة إلى عاشوراء ومعانيها ليست وقفاً على الحالات الصعبة فقط التي تمر بها الأمة، بل حتى لو تحققت أهداف عاشوراء لبقيت الحاجة إليها ولو للاتعاظ والاعتبار ومحاولة الحفاظ على نقاوة المسيرة وعدم انحرافها فيما لو تحققت الأهداف العاشورائية في مواجهة من قد يتسلط على الأمة، ولهذا نجد الإمام "قده" يقول (إن من الأخطاء التي ألقمت في الأفواه أن يقال "نحن قد قمنا بالثورة وليس من الضروري قراءة العزاء"، وهذا مثل أن يقال "نحن قد قمنا بالثورة ولا لزوم للصلاة".. فنحن إنما قمنا بالثورة من اجل احياء الإسلام وشعائره، لا من أجل إماتة شعائر الإسلام، والإبقاء على عاشوراء حية هو موضوع سياسي وعبادي مهم جداً...).

ثانياً: الآراء الأخلاقية: وهنا يرى الإمام "قده" أن المحافظة على إحياء عاشوراء تحمل قيماً أخلاقية بحد ذاتها وبِغضٍّ النظر عن تأثيراتها المتنوعة في أوساط الأمة، لأن هذا الإحياء يحمل معاني الوفاء والتزام والتمسك بنهج الحسين (ع) الجهادي الإستشهادي، ويقول (ولو أن سيد الشهداء ما كان موجوداً لم يكن لهذه الثورة أن تتقدم. سيد الشهداء في كل مكان. "كل أرض كربلاء"، فسيد الشهداء حاضر، فكل المنابر لسيد الشهداء، وكل المحاريب لسيد الشهداء (ع)).

ثالثاُ: الآراء الفقهية: يرى الإمام "قده" أن الالتزام بمجالس العزاء هي بأمر من الأئمة (ع)، وهي بهذا تحمل بُعداً فقهياً أيضاً واضحاً عنده، عندما يؤكد على هذا المعنى في كلامه، فكما أن الأئمة (ع) قد أمرونا ونهونا فقهياً عن الكثير من الأمور

التي لها مدخلية إيجابية أو سلبية، كذلك وجهوا أنظارنا نحو الاهتمام بعاشوراء لجعلها جزءاً من شعائرنا والتزاماتنا على المستوى الفقهي الذي يحمل الصفة القانونية والتنظيمية لحياتنا كلها، ولأن الأئمة (ع) يريدون بهذا أن يجعلوا لعاشوراء موقعية فقهية إلى جانب تكليفنا الأخرى، ويقول الإمام "قده" (نحن إنما نقيم هذه المجالس بأمر من حضرة الإمام الصادق (ع) وبتوصية من أئمة الهدى (ع)... لقد حافظ خطباؤنا على قضية كربلاء حية...)، ويقول في كلام آخر (حافظوا على مجالس العزاء التي تقام غالباً بهذه العظمة وبأكثر منها، وليسع أهل المنبر أيدهم الله تعالى أن يقودوا الناس... ولا تتركوا مجالس العزاء فنحن أحياء بالعزاء...).

رابعاً: الآراء الاجتماعية: وهنا يرى الإمام "قده" أن لثورة الحسين (ع) أبعاداً اجتماعية مهمة وأنها مدرسة متكاملة الاتجاهات تستطيع أن تكون خير معين لأية جماعة مسلمة تريد ان تمارس إسلامها أو تدافع عنه في كل المواقع والظروف، ولذا يقول "قده" (... لقد هيأ لنا سيد الشهداء وسيلة من أجل أن تجتمع الأمة بدون أن نتعب في ذلك... وبالخصوص فإن سيد الشهداء علمنا بعمله كيف يجب أن يكون الوضع في الجبهة، كيف يجب أن يفعل الذين يريدون أن يمارسوا العمل المسلح، وكيف يجب أن يدعوا الذين هم خلف الجبهات إلى الجهاد... لقد أفهمونا أيضاً كيف يجب التصرف بعد وقوع تلك المصيبة، هل يجب الاستسلام؟ هل يجب التخفيف من الجهاد؟ أم أنه يجب العمل كما فعلت السيدة زينب (ع) بعد هذه المصيبة "التي تصغر عندها المصائب"...).

(تأثير ثقافة الإمام الخميني العاشورائية في الأمة)

لقد كان لثقافة الإمام "قده" تأثير كبير في مسيرة الثورة الإسلامية المظفرة في إيران، ثم في النهضة الإسلامية العامة التي شهدها عالمنا الإسلامي، وما زال يعيش فصولها وآثارها الإيجابية على مستوى نمو الوعي والاندفاع نحو التمسك بهذا الدين الحنيف.

فالإمام انطلق من أن عاشوراء كانت السبب الذي أدى إلى الحفاظ على الدين الإسلامي عبر امتداد فترات الظلم والاضطهاد والتشريد، وأنه من خلال المحافظة على احياء عاشوراء فإننا نبقي الحيوية في هذا الدين، حتى إذا تحقق المسلمون الواعون القادرون على حمل تلك الحيوية استطاعوا أن يغيروا واقعهم نحو الأفضل والأحسن.

ولهذا كان الإصرار الكبير من الإمام "قده" على الاستمرار في إقامة مجالس العزاء، وعلى ضرورة أن لا نسمح لأي عائق مهما كان من أن يمنع من انعقاد تلك الندوات التي تبقى صوت الحق مسموعاً ولو لم يتفاعل معه أحد بالطريقة التي ينبغي أن يحصل فيها ذلك الانسجام الروحي والتفاعل الفكري والوجداني مع عاشوراء وما ترمز إليه من تضحيات في سبيل العقيدة والمبدأ.

من هنا نفهم سر كلمات الإمام "قده" التي يعبر فيها عن أن كل ما لدينا هو من عاشوراء، باعتبار أن إحياء مجالس أبي عبد الله الحسين (ع) التي استمرت عبر العصور، وإن لم تسمح بظهور أجيال مسلمة تقتدي بالحسين (ع) كعمل ثوري وجهادي يصب في خدمة الرسالة والمعتقد، إلا أن نفس الاستمرار والمواظبة على إحياء تلك المجالس قد أبقى الأمل منعقداً بظهور أجيال تستطيع أن تحول التراكمات العاطفية والانفعالية الوجدانية المتراكمة إلى فعل جهادي واعٍ وهادف، ينطلق من ضرورة الثورة على الواقع الفاسد، ويهدف إلى إحياء الإسلام وإعادته إلى حياة الأمة بالنحو الذي يخدم أهدافها على المستويين الديني والدنيوي معاً.

لهذا يعتبر الإمام "قده" أن الاستعداد للجهاد والشهادة في سبيل الله هو ثمرة من ثمرات خط آل النبوة والإمامة ويقول (إن خط الشهادة الدامي هو خط آل محمد وعلي (ع)، وهذا الافتخار إرث وصل من بيت النبوة والولاية إلى ذرية هؤلاء العظام وإلى أنصار خطهم ومحبيهم... إنهم أنصار خط سيد الشهداء الذي ضحى بالطفل الذي عمره ستة أشهرٍ إلى الرجل العجوز ذي الثمانين عاماً في سبيل الإسلام والقرآن، وروى الإسلام العزيز وأحياه بدمه...).

وهذا هو بالفعل ما تحقق عند الشعب المسلم في إيران الذي حمل دمه على كفوف أبنائه البررة، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، واستطاعوا أن يحولوا ذلك الكم الهائل من الانفعال الثوري ـ الذي أوصله الإمام عندهم بخطبه وبياناته ـ إلى حركة ثورية جهادية فاعلة استقوت على كل عوامل الضعف والخوف والاستسلام أمام الدنيا والسلطان الظالم، وبذلت دماء عشرات الألوف من أفراد وأبناء ذلك الشعب المسلم حتى نال انتصاراً عظيماً مدوياً ما زالت أصداؤه تتردد في سماء عالم اليوم.

إن تلك الروحية الجهادية الحسينية التي استطاع الإمام الخميني "قده" أن يزرعها في نفوس أبناء الشعب المسلم في إيران، كانت البداية، ثم انتقلت من هناك إلى كل أرجاء العالم الإسلامي، فيتحول المسلمون في كل مكان إلى مجاهدين وباذلين للغالي والنفيس في الدفاع عن الإسلام وقيمه الإنسانية العظيمة، فالرجل الكبير يريد أن يقتدي بحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة، والخاطئ المغرَّر به يريد الاقتداء بالحر بن يزيد الرياحي، والشباب يأخذون من علي الأكبر والقاسم بن الحسن عليهما السلام والعباس (ع) قدوة لهم في الجهاد والشهادة، وكل واحد يتمناها قبل غيره أو معه لا فرق، والأب يحمل ولده الرضيع ليقف به أمام الجبارين والظالمين يتحداهم، والمرأة المسلمة تخرج إلى سوح الجهاد إلى جانب الرجل تجاهد معه وتضحي بدمها شهيدة في سبيل الله والإسلام.

إن كل هذه التحولات عند أبناء الأمة لم تأتِ من فراغ، وإنما جاءت من ذلك التراث العظيم المستمر منذ عاشوراء، والذي استطاع الإمام "قده" أن يعرف كيف يوظفه ويستخدمه لتغيير واقع الأمة المتردي الذي كانت تتخبط فيه وتعيش السقوط واليأس والاستسلام والفراغ، على قوة معنوية هائلة وصلت إلى حدود التسابق نحو الشهادة على طريق الحسين (ع)، بل وصل الأمر بأن يندفع الكثير من المجاهدين إلى القتل الاستشهادي والموت كذلك بكل ثقة واطمئنان لا مثيل له، ولم يشهد له العالم نظيراً من قبل وفي تاريخ الصراعات عبر العصور.

من هنا نعتبر أن الحالة الإسلامية في لبنان وذراعها القوية وهي "المقاومة الإسلامية" هي إحدى نتاجات تلك الروح الحسينية الخالدة التي أحياها الإمام "قده" في الأمة، ثم انتقلت إلى داخل أرضنا المحتلة في فلسطين ليكون هناك مجاهدون حسينيون مباركون هم أبناء حماس والجهاد الإسلامي، والأمل كبير جداً بالمستقبل المشرق كلما تنامت هذه الروح الحسينية وتأصلت في نفوس المسلمين، وهو ما نشهده في حاضر الأمة اليوم، حيث انتقل المسلمون بهذه الروحية الحسينية المتجددة إلى المواقع المتقدمة دفاعاً عن دينهم وكراماتهم، ووعوا الواقع المأساوي الذي هم عليه، ولن يكون يوم الحرية واستعادة المقدسات المغتصبة وبناء دولة الإسلام العالمية ببعيد، طالما أن أبناء الأمة قد اهتدوا أخيراً بفضل الإمام "قده" إلى الطريق الصحيح الذي به نجاتهم وانتصارهم وارتباطهم بالله العزيز الجبار، وإن غداً لناظره قريب.

والحمد لله رب العالمين

القرآن في نظر الإمام

من المفردات المهمة التي أولاها الإمام الخميني "قده" العناية والرعاية هي "القرآن الكريم" الدستور الأساس للشريعة الإلهية الخاتمة، حيث إن هذا الكتاب كان قد تحول في حياة الأمة الإسلامية إلى مجرد طقوس ومظاهر خالية من القدرة على الفهم والاستيعاب لمعاني ذلك الكتاب الخالد، وصار جزءاً من التقاليد التي لا حياة فيها كالقراءة على الأموات وفي المناسبات الحزينة، أو يوضع للتبرك في البيوت كجزء من عادات المسلم لا أكثر ولا أقل، أو يتغنون به في حفلات التجويد لمجرد الاستمتاع بالنغم الجميل للمقرئ الذي يستعمل أساليب ترديد الصوت وترجيعه.

هذه الطريقة من التعامل مع القرآن التي يرى الإمام "قده" أنها لعبت دوراً سلبياً في حياة الأمة، نظراً لما يحتويه هذا الكتاب المقدس من خلاصة التجارب الاجتماعية

للشعوب عبر العصور، وعن أسباب اندحارها وسقوطها، وتوضيح أن السبب الأساس لكل ذلك الانحراف هو الابتعاد عن الصراط المستقيم الذي اختاره الله للإنسانية.

ولهذا كان يرى الإمام "قده" أن هجر الأمة للقرآن هو السبب في إذلالها واستعبادها، لأنها بتركه لن تكون بمنأى عن السقوط أمام الأعداء، كما حصل فعلاً في العصر الذي سبق انتصار الثورة منذ أول هذا القرن عندما وقف ذلك القائد الإنكليزي عند أبواب القدس وقال (الآن انتهت الحروب الصليبية) أو ذاك الأجنبي الذي قال (بأنه ما دام المسلمون متمسكين بالقرآن فلن نستطيع أن نهزمهم).

من هنا نرى الإمام "قده" يقول (القرآن للجميع، ويُؤمِّن سعادة الجميع، في ظل القرآن استطاع الإسلام في نصف قرن أن ينتصر على امبراطوريات زمانه، ونحن، ما دمنا في ظل القرآن فإننا سوف نغلب أعداءنا، وإذا أبعدنا أعداؤنا لا سمح الله عن الإسلام والقرآن فإننا سوف نجلس ونرى أننا نعيش في الذلة والعبودية. إن الاستقلال والحرية إنما هما في الاقتداء بالقرآن الكريم والرسول الأكرم (ص).

من هنا نرى أن الإمام "قده" يرى أن القرآن الكريم بما يحتويه بين دفتيه منبع عظيم للمعارف الإنسانية في شتى المجالات، ويقول (... فإن على كل طائفة من العلماء... أن يصرفوا الوقت للخوض في الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والحرب والصلح حتى يعلم أن هذا الكتاب هو منبع كل شيء، من العرفان والفلسفة إلى الأدب والسياسة حتى لا يقول الجهلة إن العرفان والفلسفة أوهام وتخليات أو أن يقولوا ما للإسلام والسياسة والحكومة وإدارة البلاد، فهذا عمل السلاطين ورؤساء الجمهورية وأهل الدنيا... أو أنه الإسلام دين الصلح بل هو بريء من الحرب والمنازعة مع الظالمين، فسبَّبوا للقرآن ما سببته الكنائس الجاهلية والسياسيون المخادعون للدين المسيحي).

ولهذا يطلق الإمام "قده" ضد كل هؤلاء الذين يتلاعبون بالقرآن ويُحرِّفون آياته ويشترون بها ثمناً قليلاً صرخة براءة منهم، ويطلب من الحوزات العلمية وأهل

التحقيق والجامعات أن تعمل على إنقاذ القرآن من شر جهل هؤلاء، أي من (الجهلاء المتنسكين والعلماء المتهتكين الذين يشنون الغارات عن علم وعمد...).

فالإمام "قده" ينظر إلى القرآن على أنه قابل لتزويد الإنسانية بكل ما تحتاجه من القواعد العامة التي تعالج كليات القضايا التي تهم الإنسان في حياته ومصيره، وأن الإنسان لن يستطيع بسهولة فَهْمَ أبعاد ذلك الكتاب الإلهي الخالد ويقول (... مع أن ليس بمقدور البشر العاديين أن يفهموا أبعاده المختلفة،... ولكن بمقدار علم ومعرفة واستعداد أهل المعرفة والتحقيق في الفروع المختلفة، وببيانات ولغات متفاوتة وقريبة من الفهم عليهم أن يستفيدوا ويفيدوا الآخرين من هذه الخزينة اللامتناهية من العرفان الإلهي وهذا البحر المتلاطم للكشف المحمدي).

لكل ما سبق نرى أن الإمام "قده" يعطي النموذج عن القدرة التي يمكن أن تنتج عن الشعب المتمسك بالقرآن والمطبق لكل تعاليمه وإرشاداته، والمستفيد منه في واقع حركته لأنه يختزن عصارة التجارب الإنسانية عبر التاريخ كقوله تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، ومن هنا يقول "قده" (نحن نفخر ويفخر شعبنا المتمسك بالقرآن من رأسه وحتى أخمص قدميه بأننا أتباع مذهب يهدف إلى إنقاذ القرآن من المقابر، هذا القرآن الذي تدعو حقائقه إلى الوحدة بين المسلمين، بل وبين عموم بني الإنسان، والذي يعتبر أعظم كتاب منقذٍ للإنسان من القيود المكبلة لرجليه ويديه وقلبه وعقله والتي تجره نحو الفناء والعدم والرق والعبودية للطواغيت).

ولا شك أن الفات الإمام لأنظار المسلمين إلى أهمية القرآن نابعة مما استفاده هذا القائد العظيم الملهم من ذلك الكتاب الخالد، فأدب به نفسه أولاً وهذبها، ثم انطلق يعلم الأمة كيف تتعامل مع ذلك القرآن بما يحويه في سورة وآياته من الدلائل الباهرة والآيات الظاهرة التي تجلي البصر والبصيرة وتزيل عن العقول غشاوات الأوهام التي تروجها أبواق الدعاية للإعلام الاستكباري الذي يسعى لتحطيم معنويات الشعوب وهزم قناعاتها واعتقاداتها لتعيش الفراغ في هذا الجانب المهم

والخطير معاً، وليكون هذا الصراع وسيلة لترويج عقائدهم وأفكارهم المنحرفة التي لا تنتج إلا عبثية واستهتاراً وركضاً خلف المغريات الدنيوية الرخيصة.

اللهم اجعلنا من المتمسكين بالقرآن والعالمين به والعاملين به والمنقذين لأنفسنا بواسطته من كل ما يحرف مسيرتنا وأعمالنا عن ساحة الرحمة الإلهية اللامتناهية، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين

دور المسجد عند الإمام "قده"

يُرَوى في سيرة النبي الأعظم (ص) بأن أول عمل قام به في المدينة بمجرد أن وطأت أرضها قدماه المباركتان هو قيامه ببناء المسجد، وهذا العمل يحمل في طياته دلالات مهمة وعلى رأسها هو أن المسجد منطلق لبناء الذات من النواحي الإيمانية والأخلاقية عبر الكثير من مظاهر العبادة التي تقام فيه، وهو المحل الصالح أساساً لبناء الشخصية الإسلامية الواعية والمنفتحة على الواقع من خلال الدروس والمواعظ والمحاضرات التي تُلْقَى فيه. ولهذا نجد التشجيع الكبير من الشريعة الغراء على ارتياد المساجد والتواجد فيها والإكثار من التردد إليها، بل ورد في بعض الأحاديث أن أحد الذي يَشْكُون إلى الله أمرهم يوم القيامة هو المسجد المهجور الذي كان معطَّلاً من جانب المسلمين حيث لا يهتمون لأمره، ولا يستفيدون منه كما هو المفترض.

من هنا نجد أن الإمام الخميني "قده" يعتبر المساجد مدارس بكل ما لهذه الكلمة من معنى، ويطالب المسلمين بأن يتخذوا منها منابر لإيصال صوت الإسلام إلى كل الناس، فمنه ينطلق الإنسان في صلاته ودعائه إلى خالقه العظيم، وفيه يتلقى أنوار العلم والمعرفة، ومن بين جنباته تنفتح آفاق الهداية أمام هذا المخلوق، ومن على منبره تصدر المواقف التي توضح لأبناء الأمة كل القضايا التي تهم واقعهم ومصيرهم وتتدخل في صميم حياتهم ومسيرتهم.

ومن كلمات الإمام "قده" حول هذا الأمر (أنتم، من مساجدكم ومن على منابركم يجب أن تدعو الناس إلى هذه الاجتماعات، هي التي حفظت الإسلام فأكثروا منها فيا لمساجد، وادعوا الناس إلى المساجد وأفهموهم...).

ولا شك أن التردد إلى المساجد يأخذ أهمية أكبر ويعطي آثاراً فعالة بنسبة أقوى خلال المواسم العبادية الرئيسة على مدار السنة، وفي هذا المجال نجد أن شهر رمضان هو أهم موسم عبادي سنوي عند الأمة المسلمة، فهي مطالبة فيه أكثر من أي وقت آخر بالتواصل مع المساجد لتعيش بركات شهر الله من خلال قداسة بيت الله، وهنا نجد الإمام "قده" يقول (إن هؤلاء الذين يتآمرون ويبعدونكم عن المساجد وعن مراكز التربية والتعليم، هم أعداؤكم. إن الشهر المبارك "شهر رمضان" قد اقترب، وفيه يجب أن تربوا أنفسكم بما يعادل عدة شهور، ويجب أن تكون التربية والتعليم في المساجد وفي المحافل العامة).

هنا نرى الإمام "قده" يربط بين شهر الله المبارك وبين المساجد، ويعتبر أن تربية المسلم لنفسه وتهذيبه لها وتعليمه إياها في رحاب هذا الشهر العظيم يجب أن ينطلق أساساً من المساجد لأنها المراكز المؤهلة لذلك والمعدة لإفادة هذه الأمور قبل أي شيء آخر.

ونجد أن دعوة الإمام لارتياد المساجد لا تقتصر على فئة دون غيرها من فئات الشعب، بل يؤكد على ضرورة أن يلتزم المثقفون أيضاً بذلك، لأن كونهم يحملون هذه الصفة لا تجعل لهم ميزة تكون سبباً لعدم ارتيادهم، ويقول في هذا المجال (أيها الناس، أيها المثقفون، أيها الحقوقيون، احفظوا مساجدكم واعمروها حتى تتحقق أهداف الثورة).

كما أن الإمام "قده" يرى بأن المساجد هي من أفضل الأماكن للنشاط والوعي السياسي أيضاً، وذلك من الاجتماعات العفوية الحاصلة فيها التي تكون خير وسيلة لإيصال الموقف الشرعي من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتكون الجماهير على تواصل مستمر مع الأحداث وتحدد من خلال ما تسمعه من

توضيحات أئمة المساجد المفترض فيهم أن يكونـوا واعـين لمجريـات الأحـداث والقضايا.

وبالجملة فإن النظرة الشمولية للإمام ″قده″ عن دور المسجد في حياة الأمة تعتبر رائدة ومتقدمة جداً عن نظرة الآخرين الذين كانوا يحرِّمون أو على الأقل يمنعون من أي نشاط ديني غير بحت في تلك الأماكن التي فرض الله قدسيتها وطهارتها، ولهذا يوصي الإمام الأمة كلها بان تتخذ المساجد متاريس يتحصنون بها ضد كـل أنـواع الغزو الفكري والثقافي والإعلامي والاجتمـاعي ويقـول (اتخـذوا هـذه المـساجد متاريس، فمن هذه كان يصدر كل شيء في صدر الإسلام، لقد كان المسجد مركزاً للقضاء والتعبئة للجيوش، فصونوا هذه المساجد صلبة محكمة، لا يقولنَّ أحدٌ لكـم ″لماذا نحن بحاجة إلى المسجد؟ لقد قمنا بالثورة″).

ولأجل هذا نجد في بعض النصوص الواردة عن الإمام ″قده″ ما يـشبه الـصرخة التي تطالب المسلمين بحفظ هذا المتراس المتقدم في الدفاع عن كل ما يعنيه هـذا الدين العظيم ويقول (هذه المساجد هي متاريس للإسلام، والمحراب مكان الحرب، والمحاريب متاريس للإسلام فاحفظوها).

فالحري بنا ونحن نسمع هذه الكلمات الهادية تنطلق من قلب سليم يريـد الخيـر للأمة كلها، وقدَّم لها أعظم إنجاز ديني بعد إنجازات الأنبياء والأئمة (ع) أن نكـون حريصين على الاهتداء بنور كلماته الربانية المنطلقة من الإخلاص والوفاء والحـب لله ولهذه الأمة العظيمة المعطاء، وأن نستغل فرصة شـهر رمـضان المبـارك ليكـون البداية لإعادة الوصل والارتباط بالمساجد، ليكـون شـهر رمـضان ببركاتـه الإلهيـة العظيمة وببركات التردد إلى المساجد فيه معطياً للشحنة المعنوية الدافعـة والدافقـة للمسلمين لتفعيل وازدياد الجهاد والدفاع عن الإسلام العظيم وعن الأمة الملتزمة به.

والحمد لله رب العالمين

الاجتهاد في خط الإمام "قده"

من الواضح لكل من قرأ فكر الإمام الخميني "قده" كُلاًّ أو بعضاً أن هناك الكثير من التطبيقات الفقهية على مستوى الفتاوى والأحكام من التي أصدرها الإمام "قده" يختلف مع ما كان عليه المسار الفقهي التقليدي، وهذا لا شك يعود إلى نمط اتخذه الإمام في تعامله مع أحكام الشريعة حيث لم ينظر إليها على أنها مجرد أحكام تعرض لعمل المكلَّف بما هو فرد فقط، بل كان هناك تطور عنده في الرؤية بالنظر إلى شمولية الفقه الإسلامي لكل نواحي الحياة بكل أبعادها، أي على مستوى المسلم كفرد وعلى مستوى المسلمين كأمة.

ومن هنا يمكن القول إن الإمام "قده" قد طوَّر من مفهوم الاجتهاد المعروف عند الشيعة بأنه "بذل الجهد والوسع من أجل استنباط الحكم الشرعي من مصادره التشريعية المقررة" إلى ما هو أوسع مدى وأشمل مساحة من مجرد هذا التعريف الذي يقصر الاجتهاد بعملية النظر في الأدلة واستيضاح معاني مفرداتها ومعالجة أوضاع الأسانيد وحالات التعارض وما أشبه ذلك، إلى كون الاجتهاد عملية متطورة أكثر يدخل فيها عنصرا الزمان والمكان والإحاطة التامة بمجريات العصر ومتغيراته حتى تكون الأحكام الصادرة عن المجتهد قادرة على محاكاة روح العصر وقابلة لأن تعالج كل مشاكل المسلمين في ظل عالم متطور كثير التغيرات. ولهذا نرى أن الإمام "قده" يرى أن من مقومات الاجتهاد وشروطه الأساسية في هذا الزمن التضلع والإحاطة بالمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، طبعاً لا بمعنى أن يكون المجتهد تام الخبرة التخصصية في هذا المجال، وإنما بالقدرة على استيعاب كل هذا التطور من خلال فهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها وتبني كل تلك المفردات الراجعة إلى تلك المسائل، ولهذا يقول "قده" في هذا المجال (فالزمان والمكان يعتبران عنصرين أساسيين في الاجتهاد، والمسألة التي لها حكم في السابق قد تأخذ حكماً جديداً في إطار العلاقة السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية للحكم،... وعلى المجتهد أن يلم بقضايا عصره، ولا يمكن للشعب وللعوام وللشباب أن يقبل في

مرجعه ومجتهده أن يقول إنني لا أبدي رأياً في القضايا السياسية، ومن خصوصيات المجتهد الجامع معرفة أساليب التعامل مع الحيل والتحريف الموجودة فـي الثقافـة الحاكمة على العالم).

بل نجد أن الإمام "قده" في بعض ما ورد عنه ينفي الاجتهاد كملكة عنـد مـن لا اطِّلاع لديه على واقع العصر الذي يعيش فيه بعيداً عن أمور العـصر وأحداثـه، ولا يملك القدرة على اتخاذ القرار في الأمـور التـي يحتاجهـا المجتمـع، لا يحـق لـه التصدي وإعطاء الفتوى في الشؤون السياسية والاجتماعية، حتى لو كان الأعلم فـي العلوم المعروفة في الحوزات، وبسبب عدم معرفته بالموضوعات، فإن فتاواه ليست حجة على الآخرين، بل عليه أن يقلد هو الآخرين فيها.

إن هذا الحكم القاطع من الإمام "قده" يوحي بـالفكرة عـن الاجتهـاد المطلـوب عنده، وهو الذي يستطيع أن يواكب حركة الأمة، فلا يتأخر عنها في تطوره حتـى لا يسبقه العصر، ليصبح المجتمع واستنباطاته في واد، والعصر في وادٍ آخر لا ربط بـه إلا من حيث التعايش المادي دون المحتوى الفكري والروحي والعملي.

فالاجتهاد على هذا هو (دمج النظرية الإسلامية بالواقع التطبيقي الموافـق لـروح العصر بما ينسجم مع الأهداف، فيعطي الشرعية للتطور غير المخالف لذوق الشريعة، ويصحح ما يمكن تصحيحه، ويبطل ما لا ينسجم)، وبهذا يكون الاجتهاد جزءاً مـن حركة المجتمع والأفراد لا ينفصل عنها.

ونظراً لاتساع دائرة المعارف الإنسانية، في هذا الـزمن، وتطـور الأفـق الفكـري والمعرفي عند الإنسان، واتضاح الكثير من غوامض المسائل التي لم تكـن واضـحة كما هي اليوم، نرى أن الإمام "قده" يعتبر أن المجتهد لـم يعـد قـادراً بنفـسه علـى الإحاطة بكل ما له دخل في توضيح الموضوعات لجعلها جاهزة للاستنباط الأقـرب إلى الواقع، ولهذا كان يرى ضرورة الاعتماد على أهل الخبـرة والمتخصـصين فـي تشخيص كل الموضوعات الخارجية، وأن عمل هؤلاء ضروري ومهم جداً في جعل الحكم أقرب ما يمكن إلى روح العصر. من هنا نرى أن الإمام "قده" فـي موضـوع

بعض أنواع السمك المنتج للكافيار والذي كان مورد شبهة من جهة تضمنه للفَلْس، قال (فيما يخص هذا السمك، فإن رأي المتخصصين المعتمدين معتبر عندنا ويجري العمل على أساسه).

من هنا رأينا في التجربة العملية للإمام "قده" أنه كان لديه عدد من المستشارين في مختلف الشؤون ليزودوه دائماً بالمعطيات والوقائع وآخر المستجدات حتى يبقى على تواصل مستمر مع كل التطورات، حتى إذا ما احتاج إلى الإفتاء أو إصدار الحكم كان على إلمام بالموضوع محل البحث، كون الموضوعات من جهة تحديدها تلعب دوراً كبيراً في تشخيص الحكم وتوجيهه، بل الموضوع هو بمثابة العلة لمعلولها.

إلا أن الإمام "قده" مع هذه التوسعة في معنى الاجتهاد عنده، يؤكد على ضرورة الحفاظ على الاجتهاد بمعنى الدقة والتوسعة والتفصيل في عملية الاستنباط، وأن لا تخرج الطريقة المتبعة في الاستنباط عن "الفقه الجواهري" كما يسميه نسبة إلى كتاب "جواهر الكلام" نظراً لأن هذه الطريقة الواسعة والمفصلة تغني المجتهد في البحث بما تتضمن من العمق والشمولية أثناء مراحل البحث عن الحكم تطبيقاً للمعنى الأساس للاجتهاد وهو "بذل الجهد والوسع"، فهذا المعنى ينبغي أن يبقى قائماً ومستمراً بهذا النحو، لا أن يتحول الاجتهاد إلى مسألة سطحية لا عمق فيها ولا تدبير.

والحمد لله رب العالمين

أهمية التعليم عند الإمام "قده"

من أهم ما يميز القائد في مفهومنا الإسلامي أن يكون حريصاً وغيوراً ومندفعاً نحو القيام بكل ما يؤدي إلى ترسيخ الإسلام في النفوس وما يقوي الإرادة ويشد العزائم ويشحذ الهمم نحو الوصول إلى الأهداف الكبرى لهذا الدين.

من هذا المنطلق نجد أن الإمام الخميني "قده" بمجرد أن انتصرت الثورة الإسلامية المباركة في إيران وجَّه اهتمامه بشكل كبير نحو تعليم الشعب وتلقينه القراءة والكتابة لرفع الأمية ومحوها، تلك الأمية التي كانت متفشية بين أوساط الشعب، خصوصاً في القرى والأرياف التي كانت مهملة ومستبعدة وليست جزءاً من اهتمامات النظام الشاهنشاهي الذي كان حاكماً قبل انتصار الثورة.

فالإمام "قده" كان ينظر إلى أن الأمية بالطريق التي كانت متفشية وموجودة ستكون المدخل المناسب للنظام الفاسد للتغلغل إلى قلوب الناس وعقولها عبر زرع المفاهيم الباطلة والمنحرفة التي تذهب بأولئك بعيداً عن مسارهم وأهدافهم وسلوكهم.

ولهذا نجد الحسرة في كلام الإمام "قده" والألم الذي يعتصر قلبه عندما يتحدث عن هذه المأساة التي كانت من المآسي الكثيرة التي سبَّبها ذلك النظام البائد، ويقول (إن التعليم للجميع من جملة الحاجات الأولية لكل شعب على جانب الصحة والمسكن بل هو أهم منها، ومع الأسف فإن دولتنا ورثت شعباً محروماً من هذه النعمة الكبرى في النظام السابق، وأكثر أفراد وطننا لا يعرفون القراءة والكتابة، فكيف بالتعليم العالي...).

ثم يُظْهِرُ الإمام "قده" تعجبه بنحو الاستنكار بمعنى أن الشعب المسلم في إيران الذي كان له دور بارز في تقدم العلوم والفنون في الإسلام عبر العصور يصل الأمر إلى أن تكون الأمية منتشرة في أوساط الناس ويقول (ومما يسبِّب الخجل أنه في بلد كان مهداً للعلم والأدب ويعيش في ظل الإسلام الذي يعتبر طلب العلم فريضة يكون هذا البلد محروماً من القراءة والكتابة...).

ولهذا كان الإمام "قده" يرى أن بعد انتصار الثورة لابد من توجيه الأنظار نحو هذا الأمر وهو "التعليم للطبقات الشعبية" ومحو الأمية عنها وبأسرع وقت ممكن، لأن كل وقت يضيع من دون الاستفادة منه سيكون خسارةً على الشعب وهدراً للجهود والطاقات، ويقول (وبدون مضيعة للوقت وبدون مراسم متعبة علينا أن نقوم بمحو الأمية بكيفية منجزة وسريعة وبتعبئة عامة لذلك حتى يتعلم كل شخص القراءة والكتابة في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى...).

ولا يفوت الإمام "قده" أن ينبه إلى ضرورة وضع برنامج للوصول إلى الآلية الأفضل لتحقيق ذلك الإنجاز الكبير ويقول (يجب علينا أن نضع برنامجاً طويل الأمد نبدل فيه ثقافة وطننا التابعة بثقافة مستقلة ومكتفية ذاتياً)، ويقول أيضاً (أنا آمل من شعبنا العزيز بهمته العالية أن يجعلوا من إيران مدرسة، وأن يصرفوا كل يوم وليلة وفي أوقات الفراغ ساعة أو ساعتين لهذا العمل الشريف).

ثم لا ينسى الإمام "قده" أن يؤكد على أن هذا العمل ليس وظيفة الدولة الإسلامية وأجهزتها الرسمية فقط، بل هو واجب الشعب كله، لأن محو الأمية وظيفة المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه القادرة على القيام بهذا التكليف الشريف كما يعبر عنه الإمام، ولذا يقول (إذا كان السادة ينتظرون من الحكومة أن تقوم بهذا العمل "محو الأمية" فإنها لن تستطيع ذلك... والتعليم الذي أقصده هو معرفة القراءة والكتابة... لا نريد أن يصبح الجميع أطباء ومهندسين، نريد أن يستطيع الجميع كتابة ما يقصدون...).

ثم يطلب الإمام "قده" من الأميين أن يتجاوبوا مع هذه الدعوة التي هي لمنفعتهم قبل الآخرين، لأن التجاوب سيرفع عنهم الحرمان من هذه النعمة العظيمة التي بها تميز الإنسان عن غيره وهي نعمة التعليم ويقول (وليعلم القرويون وسائر الفئات الأمية أن هذه خدمة يجب أن يتقبلوها بقلبهم وروحهم ولا يظنوا أنهم لا يستطيعون... فكل إنسان يستطيع أن يتعلم، ويستطيع أن يصبح إنساناً...)، ثم يقول (العلم من المهد إلى اللحد، ومن الطفولة حتى اقتراب الموت)، ويقول أيضاً (حتى الرجل العجوز والمرأة العجوز يستطيعان أن يتعلما ويستطيعان أن يُحصِّلا ولا ييأسا من أنفسهما).

وبهذا يفتح الإمام "قده" باب الأمل أمام هؤلاء الأميين لكي يتعلموا ليكونوا يداً تبني مع الآخرين، وليكونوا عوناً كبيراً على مستوى إسقاط الفتن والمؤامرات الداخلية والخارجية على حد سواء.

والحمد لله رب العالمين

قيمة العمل والعمال عند الإمام "قده"

من القضايا التي أولاها الإمام "قده" عناية ورعاية واهتماماً كبيراً "قضية العمال" الذين كان يرى فيهم العمود الفقري للإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي ثم الاستقلالية لأي دولة من سيطرة وهيمنة الدول الأخرى، ويقول "قده" (إن العمال من أقيم الطبقات وأنفع الجماعات في المجتمعات، وإن عجلة المجتمعات البشرية تدور وتتحرك بيد العمال القديرة، وحياة الأمة رهينة العامل والعمل، فالعمل لا يختص بحركة خاصة، والعامل لا يختص بطبقة خاصة. وبناء على هذا الأساس فإن يوم العمال هو يوم جميع الشعوب لا يوم بعض منها خاصة. إن يوم العامل هو يوم دفن سيطرة الدول الكبرى الذي يعود بواسطة العمل ـ بمعناه الأعم ـ بالاستقلال في كل جوانبه إلى مستضعفي العالم ويجرد الدول الكبرى القراصنة والمتوحشين من أسلحتهم).

إن هذه النظرة المميزة إلى دور العمل والعامل لا شك أنها نابعة من صميم العقيدة الإسلامية التي تجعل من الحياة الدنيا ميداناً رحباً للعمل والسعي والكدح، فالله عز وجل يقول ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾، وكذلك ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وكذلك ما ورد عن رسول الله (ص) في رواية أنه أمسك بيد عامل وقال (هذه يد يحبها الله)، وفي رواية أخرى أنه (ص) قبَّلها.

فما نستوحيه من جو الآيات التي أطلقت كلمة "العمل" ولم تقيد موردها في مجالات معينة، تشير بوضوح إلى أن العمال وهم الطبقة التي من خلال عملها الذي يزود المجتمعات باحتياجاتها المتنوعة والمختلفة تدخل ضمن نطاق دلالة الآيات، لان أعمال هؤلاء لا تقل أجراً وثواباً ومقاماً عند الله عندما تكون منطلقة من عمق الدوافع الإيمانية والعقائدية لتحقيق الأهداف على المستوى الإنساني والاجتماعي للأمة الإسلامية.

ولهذا نجد أن الإمام "قده" يحدد للعمال جميعاً وفي مختلف مجالاتهم هدفاً محدداً هو "تحقيق الاكتفاء الذاتي" ويطلب من جميع أصناف العمال الاستمرار والمثابرة في مواقعهم الجهادية هذه ليتوصلوا إلى ذلك الهدف، ويقول "قده" (على المزارعين أن يستمروا في زراعتهم، ويجب أن يكون قسم الزراعة في هذه الفترة من الزمن متعلقاً بالأمور التي تشكل غذاء شعبنا مثل القمح والشعير والأرز والعدس وأمثال ذلك).

ويعتبر أن الاستمرار في الثورة التي انتصرت لا يمكن بدون قيام كل الشعب بفئاته المختلفة بواجباته تجاه الثورة من خلال العمل والسعي ويقول (إذا أراد شعبنا الشريف أن ينتصر في هذه الثورة فعليه أن يشمر عن ساعده ويبادر إلى العمل من داخل الجامعات إلى الأسواق والمعامل والمزارع والحقول حتى الوصول إلى الاكتفاء الذاتي والوقوف على قدميه).

ويعتبر الإمام "قده" أن تقصير العمال في أداء واجباتهم تجاه شعبهم وأمتهم له مردوده السلبي وسوف يعود على الجميع من خلال الارتهان والتبعية للقوى الكبرى الشيطانية التي لا تعطي مصالح الشعوب الفقيرة أهمية بل لا تقيم لها وزناً، بينما نهوض هذه الطبقة وقيامها بوظائفها يجعل طريق التحرر من التبعية قصيرة، ومن هنا يقول الإمام "قده" (إن تخليد ذكرى يوم العمال ـ العمود الفقري للاستقلال وملحمة تقرير المصير والتحرر من الانتماء والتبعية ـ هو وظيفة وطنية وإسلامية وجماعية، لقد أثبتت طبقة العمال الشريفة في هذه المدة القصيرة وخصوصاً بعد اعتداء عملاء الأجانب على تراب الوطن العزيز أنها قادرة وبعونه تعالى وبتعبها وجهدها ليلاً ونهاراً على أن تنقذ وطنها العزيز من التبعية وأن توجه ضربة للثرثارين ومثيري الشائعات التابعين للأجانب، وأن تسحق الحثالات العملية والمرتبطة في الداخل...).

من هنا رأينا كيف أن هذه الدعوات المنطلقة من الإمام "قده" إلى هذه الفئة المتميزة بنظرة قد أعطت ثماراً نافعة وكبيرة لمسيرة الشعب المسلم في إيران الذي أراد له الاستكبار العالمي بزعامة أمريكا الإذلال من خلال إيقاف المصانع والمعامل

وآلة الإنتاج الضخمة التي استوردها الشاه ثم سلَّط العمالة الأجنبية عليهـا ورحلـت بعد انتصار الثورة الإسلامية ليتحول كل ذلك إلى مجرد كومة مـن حديـد صـدأ لا فائدة منه، ثم تحولت إلى سلاح بيد الشعب فتحركت عجلة الإنتاج من جديد بهمة ونشاط هؤلاء العمال المسلمين من أبناء الثورة وأتباع الإمام "قده" الذي عرف كيف يزرع الثقة والقوة في نفوس أبناء تلك الطبقة التي كانت مهدورة الحقوق والكرامـة في زمن ما قبل الثورة، فإذا بها تتحول إلى الطبقة الأكثر أهمية وقدسية مـن خـلال طبيعة المهام الموكولة إليها.

والحمد لله رب العالمين

نظرة الإمام "قده" إلى التعبئة

من الواضع أن مسألة الدفاع عن الشعوب من المسلَّمات إن لـم نقـل بأنهـا مـن البديهيات، باعتبار أن هذه المسألة مرتبطة بشكل أساس باستقلالية الشعوب وحريـة قرارها والسيطرة على مواردها وأمورها، ولهذا نجد أن كل الكيانات قديماً وحـديثاً أعطت هذه القضية حقها من الرعاية والاهتمام وبذل وحشد الطاقـات والامكانـات للوصول إلى أعلى مراتب القدرة على الدفاع لمواجهة حالات الخطـر الـداخلي أو الخارجي على حد سواء.

والإسلام من منطلق كونه ديناً يستتبع إقامة نظام اجتماعي تتبناه الدولة التي تطبق أحكامه وموازينه وتنظم علاقاته أمر اتباعه بضرورة الاهتمام بهذا الموضوع الحيوي وبإعطائه الأولوية في حالات الضرورة، لأنه يريد من المؤمنين به أن يكونوا قادرين على الدفاع عن مفاهيمه وطريقته للحياة.

وهذه الوظيفة المقدسة لا يقتصر القيام بها على القوى المـسلحة المتعارفـة عنـد الدول باسم "الجيوش" المنوط بها القيام بهذه الأعباء، بل هي وظيفة كل قادر علـى القتال والجهاد، لأن المجتمع الإسلامي مجتمع عقائدي هادف وهو مترابط ومتكامل مع بعضه البعض، وهو مسؤول بوصفه المجموعي عن الدفاع عن الدولـة والـشعب

والنظام، ولا يُستثنى من هذا الأمر سوى العجزة والأطفال والنساء الـذين أسـقط الله التكليف عنهم لأنهم غير قادرين على القيام بأعباء هذه المهمـة، وإن كـان يمكـن الاستفادة منهم في توفير الحاجات التي يتطلبها الدفاع ضد العـدو فـي المجـالات الأخرى، أو حتى في حالات الدفاع عن الضرورة الملحة.

من هنا فالإسلام يدعو إلى ضرورة التعبئة العسكرية والجهادية العامـة، ولكـن لا بمعنى أن يحمل كل واحد السلاح ويقف في الخطوط الأمامية لجبهات القتـال مـع العدو، وإنما بمعنى أن يعمل كل فرد على إعداد نفسه بدنياً وعسكرياً وقتالياً طبقـاً للآية الكريمة التي تأمر المسلمين بذلك وهي قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوْا لَهُمُ مَاْ اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاْطِ الخَيْلِ تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وهذا المعنى هو ما أسماه الإمام الخميني "قده" بـ"التعبئة العامـة للمسـتضعفين"، ويقول بهذا الخصوص (يجب أن يكون الوطن الإسلامي عسكرياً ويملك توجيهات عسكرية، كل مكان في الوطن يجب أن يعيش هذه الحالة، فالوطن الذي فيه عشرون مليون شاب يجب أن يكون عنده عشرون مليون بندقية، عشرون مليون مسلح).

ثم لا يقصر الإمام "قده" التعبئة العامة على الشعب الإيراني المسلم، بل يـرى أن كل الشعوب الإسلامية والمستضعفة في العالم أيضاً عليها أن تقوم بهذا الإعداد العام وجعل كل القادرين على القتال في صفوف التعبئة لمواجهـة الخطـر الاسـتكباري، ويقول "قده" (إنني آمل أن تكون هـذه التعبئـة الإسـلامية العامـة نموذجـاً لجميـع مستضعفي العالم وشعوب المسلمين).

ويرى الإمام "قده" أن هدف هذه التعبئة هو تخليص الشعوب مـن سـيطرة قـوى الكفر والاستكبار، ولهذا فهو يوجه خطابه التحريضي والثوري إلى جميع مستضعفي العالم بان ينهضوا ويثوروا ليحققوا لأنفسهم الحرية واستقلالية القرار ويقول (انهضوا يا مستضعفي العالم، وخلصوا أنفسكم من براثن الظالمين المجرمين، واستيقظوا أيها المسلمون الغيارى في أقطار العالم من غفلتكم وحرروا الإسلام والبلدان الإسـلامية من يد المستعمرين وأذنابهم...).

ومن أجل هذه الأهداف الكبرى المنوطة بقوات التعبئة، نرى أن الإمام "قده" يمتدح هذه القوات بأوصاف جليلة ومهمة، ويقول (التعبئة شجرة طيبة وقوية مليئة بالثمرة يفوح من براعمها أريج ربيع الوصل وطراوة اليقين وحديث العشق الإلهي. التعبئة مدرسة العشق الإلهي. التعبئة ميقات الحفاة، ومعراج الفكر الإسلامي الطاهر،... التعبئة جند الله المخلصون الذين وقَّع في دفتر تشريفاتهم كل المجاهدين من الأولين والآخرين).

بل نرى أن الإمام "قده" يفتخر هو نفسه بأنه فرد من أفراد التعبئة نظراً للدور الجليل والمهمة العظيمة المناطة بها وهي الدفاع عن حريم الدولة والشعب الإسلاميين ويقول (وأنا أغبط التعبئة دائماً على خلوصهم وصفائهم، وأرجو من الله أن يحشرني مع "تعبئتي" لأنني أفتخر بأني أنا نفسي في هذه الدنيا من "التعبئة").

وعليه فلا مجال عند الإمام "قده" أمام كل فئات الشعب إلا أن تلتحق بركب التعبئة لتعيش روحية الجهاد والعطاء باستمرار ولتكون مستعدة للجهاد والقتال والدفاع عند حصول الحالات التي تستوجب نهوض الأمة وقيامها لمواجهة حالات الخطر التي يفرضها الأعداء الذين لا يريدون للأمة الإسلامية وشعوبها أن تعيش حياتها بحرية وأن تستفيد من إمكاناتها الكبيرة لصالح حاضرها ومستقبلها.

نسأل الله العلي القدير أن يعيننا على الوصول إلى المرتبة التي يقبلنا فيها أن نكون من أفراد هذه التعبئة التي قامت في كل من إيران ولبنان بأعمال تفوق حد الوصف كان لها صداها المدوي وتأثيرها الكبير على مسيرة الإسلام المظفرة في هذا الظرف العصيب الذي تعيشه الأمة.

والحمد لله رب العالمين

المرأة في خط الإمام "قده"

إن المتأمل في النصوص التي تركها الإمام الخميني "قده" حول المرأة المسلمة من حيث الموقعية والدور، يرى فيها ما يشبع الثورة على الواقع القائم لهذا العنصر

الفاعل والحيوي في المسيرة الأمة، فخط الإمام يعمل على تحرير المرأة المسلمة من الجهة والتخلف اللذين فرضتهما قرون الانحطاط حيث كانت النظرة إلى المرأة سطحية وأنها أداة للمتعة ولا ينبغي لها أن تشارك في الحياة السياسية أو الثقافية أو التبليغية وغير ذلك، ولهذا عاشت محرومة من حقوقها الإنسانية الأساسية في التعليم وإبداء الرأي، وكانت مقهورة لإرادة الرجل ومسخرة لخدمته وتحقيق رغائبه وطلباته. كما عمل خط الإمام على محاربة الدعوات الغربية التي تريد للمرأة أن تتحرر من كل القيود والضوابط الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية التي كان العالم الغربي يسعى لجعلها واقعاً جديداً للمرأة في كل العالم انطلاقاً من اعتماده على قواه العسكرية والاقتصادية والسياسية التي هيمن فيها على الشعوب وأراد فرض ثقافته نحو المرأة في عالمنا الإسلامي وعالم المستضعفين عموماً. فخط الإمام سعى إلى أن تأخذ المرأة المسلمة دورها المرسوم لها في نطاق التشريع الإلهي الذي أنصف المرأة وحررها من قيود الجاهلية التي كانت تجعل المرأة سلعة ووسيلة للمتعة وحقاً للإنجاب لا أكثر، وفي هذا المجال يقول الإمام ″قده″ (فالإسلام أنقذ النساء من تلك الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية، تلك الخدمة التي أداها الإسلام للمرأة يعلم الله انه لم يؤدِّها للرجل).

ولعل أكثر ما يميز خط الإمام ″قده″ حول المرأة هو تصديه الشديد والقوي لدعوات تغريب المرأة واقتلاعها من جذورها الإنسانية والإسلامية إلى حالة الانفلات، خصوصاً أن هذه الدعوة الباطلة كانت تستمد قوتها من دعم الأنظمة المدعية للإسلام كما في إيران الشاه، وفي هذا يقول الإمام ″قده″ (إن هذا الشاه هو الذي قال كما نُقل في لقاء مع صحفي إيطالي ″نظريتي في المرأة هي أنها يجب أن تكون جميلة″، إن هذا الشاه هو الذي يريد أن يجر المرأة إلى الفساد ويريد أن يجعلها لعبة. إن مذهبنا ضد هذه الفجائع والمصائب وليس ضد حرية المرأة).

من هنا ينطلق الإمام ″قده″ ليقود الدعوة الحقة لإعطاء المرأة المسلمة دورها الحقيقي المنطلق من كونها إنساناً كاملاً لائقاً للتكليف وقادراً على إنجاز المهمات

حتى الصعبة منها، وليس بناء الحياة حكراً على الرجل وحده، ويقول في هذا (في النظام الإسلام تستطيع المرأة أن تشارك الرجل في بناء المجتمع الإسلامي بعنوان أنها إنسان ولكن ليس بصورة شيء آخر، إذ ليس لها الحق في أن تتدنى بنفسها إلى هذا الحد، ولا للرجال الحق في أن يفكروا فيها بهذه الطريقة).

وقد دعا الإمام "قده" انطلاقاً من هذه الرؤية للمرأة إلى التزام المجتمع الإسلامي بكل مفردات هذا الدور الواسع للمرأة المسلمة من السماح لها بتلقي التعليم والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، بل وحتى في المجالات الجهادية، ودعا إلى تحرير المرأة من الانحباس في بيتها بالطريقة التي تمنع عليها التواصل مع المجتمع وقضاياه وتطوراته لكي تستطيع أن تمارس الدور المطلوب منها بفعالية واقتدار، إذ بمقدار ما تكون المرأة ضليعة بأمور المجتمع وقضاياه بمقدار ما ينعكس هذا على أدائها لوظائفها في كل مواقع التربية والعمل في بيت أهلها أو زوجها أو مراكز التوظيف وغير ذلك.

ونقتطف مقاطع من كلمات الإمام "قده" في هذه المجالات فيقول (إن النساء أحرارا في الانتخابات والنشاط وتقرير المصير، بل وفي لباسهن أيضاً مع رعاية الموازين الإسلامية)، وكذلك (إن مقاومة وفداء هؤلاء النساء العظيمات في الحرب المروضة أمر مثير للإعجاب إلى الحد الذي يعجز فيه القلم والبيان بل يخجل من ذكره)، ويقول أيضاً (لقد كانت النساء في صدر الإسلام تذهب إلى الميدان من أجل مداواة الجرحى في الحرب الإسلامية، تبقى النساء مختبئات وتُمنَع من الخروج؟! من قال لكم إن هكذا شيئاً ينبغي أن يحدث؟ إنهن أحرار كالرجال)، وكذلك (اسعيْنَ أيتها النساء لتحصيل العلم والتقوى، فالعلم لا ينحصر في أحد، بل هو للجميع، ولطالما أنتن أيتها النساء حاضرات في الساحة وتربين الشباب، فإن الإسلام سوف يتقدم)، و(يجب عليكن أيتها النساء أن تعملن على جبهة العلم والثقافة).

ولعل من أروع النصوص على الدور العظيم للمرأة هو ما قاله الإمام "قـده" عـن تشبيه المرأة بالقرآن في عملية صنع الأجيال المؤمنة الـصالحة العاملـة ويقـول (إن العناية التي يوليها الإسلام للنساء أكثر من تلك التي يوليها للرجال، فهن قـد ربينـا الرجال الشجعان في أحضانهن، والقرآن الكريم يصلح الإنسان فـي الوقـت الـذي تصلحنه النساء أيضاً، وإذا حُرِمَت الأمة من المرأة الشجاعة والمصلحة فإنها سـوف تصاب بالهزيمة والانحطاط...).

وفي كل دعوته لإنصاف المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية يرشد الإمام "قده" النساء المسلمات إلى الاقتداء بالزهراء (ع) كونها النموذج المعبَّر خير تعبيـر عـن النظـرة الإسلامية للمرأة، ويقول (إن على النساء أن يتأسين بالزهراء (ع) في مجـال الزهـد والتقوى والعفة وتحصيل العلم ومجاهدة النفس والدفاع عن الإسـلام...)، وكـذلك (لقد وقفت السيدة زينب (ع) أمام جبار إذا تنفس الرجال في حضرته لقتلهم جميعاً. يجب أن تكون المرأة هكذا، ونساؤنا في هذا العصر يشبهونها والحمد الله...).

والحمد لله رب العالمين

المقام السامي للمرأة في القرآن

قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الْصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُـوْ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدخُلُوْنَ الجَنَّة وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقْيراً﴾.

تتحدث هذه الآية الكريمة عن الثواب الإلهي وهو عبـارة عـن "دخـول الجنـة" والتنعم بما فيها من الخيرات التي أعدها الله للمؤمنين من عباده رجالاً كانوا أم نساءً.

ولا شك أن عمـل الـصالحات محتـاج إلـى إدراكهـا وفهـم أبعادهـا الدنيويـة والأخروية، لأن هذا الفهم عامل من عوامل الانجذاب والانشداد نحو فعل مثل هـذه الأعمال التي تشكل الرصيد الأساس للرقي الإنساني من جهة ولرفعة الدرجات فـي الآخرة من جهة المقام المعنويه المطابق للجهد الصالح المبذول في الدنيا.

ومعنى كل هذا أن الإسلام يتعاطى مع المرأة على أنها مخلوق إنساني كامل الاستعدادات واللياقات الإيمانية والروحية للتسامي والارتقاء، وتحمل كامل القدرات العقلية والكفاءات العملية للسعي نحو الأهداف الإلهية على المستوى الفردي والاجتماعي معاً، وهذا ما تشير إليه مجموعة من الآيات القرآنية التي يمكن اعتبارها مكمِّلة أو شارحة ومفسرة لإجمال الآية المتصدرة هنا، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

إن هذا النص يوضح بما لا مزيد عليه أن المجتمع الإنساني لا يمكن أن يعيش التكامل المحقق لغايات الوجود إلا إذا كان الطرفان الأساسيان "الرجل والمرأة" متناسبين من الجهات الروحية والإنسانية يستطيع كلٌ منهما من موقعه دوره أن يعطي المجتمع ما يساعده على بلوغ مرحلة النضج والوعي العملي، فالإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخضوع والتصدق والصوم وحفظ الفروج وذكر الله، كلها مواصفات تتشبع بها أرواح الرجال والنساء التي يمكن أن تكون خير معين للمرأة على الأدوار الرسالية والاجتماعية والتربوية والروحية في نفوس أبناء المجتمع، وتكون رافداً مهماً للرجل الذي يقوم بدوره أيضاً في هذا المجال. وبالجملة فالجو القرآني يؤكد على أن المساواة حاصلة في الجانب الإنساني وليست المرأة دون الرجل رتبة من هذه الجهة، وتؤكد الآية التالية هذا المعنى فتقول ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله... وَعَد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾.

إذن هذا الجو القرآني الذي يحمل الصورة الأكثر إشراقاً للمجتمع الإنساني لا يتشكل إلا من التكامل الحقيقي للمواقع والأدوار بين الرجل والمرأة، فيلعب كل

طرف منهما دوراً في عمليات التربية والتعليم للأجيال، وفي ممارسة التقرب إلى الله بالطاعات والأعمال الصالحات، وفي القيام بأعباء التكليف الإلهي المقدس "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" كلٌ في مجاله الأسروي والاجتماعي وغير ذلك، وهذا ما يمكن أن يؤدي إلى تحصين المجتمع والارتقاء به إلى الحالة التي يصورها القرآن الكريم وهي حالة "المجتمع الإنساني العابد" بكل ما تضج به الحياة الاجتماعية من حركة وجهد ونشاط.

وبهذه النظرة الإنسانية المتسامية للمرأة وفِق التصور الإسلامي يختلف معتقدنا عن معتقدات الآخرين الذين ما زالوا يتعاملون مع المرأة من مواقع الإثارة والشهوة والمتعة واللذة ويريدون لهذا التصور الخاطئ والذي فيه إهانة وتحقير وحطٌّ من الموقع الإنساني والرسالي أن يكون النموذج العام للمرأة اللاهثة وراء المتع الزائلة الرخيصة التي تشبع بها غرائز الرجل وشهواته على حساب وجودها وكرامتها وحقوقها الإنسانية، وأكبر ما يشير إلى هذا التوجه الشيطاني عن المرأة ودورها ما تقوم به اليوم بعض الدول، وعلى رأسها فرنسا من فرض السفور على الفتيات المسلمات لإدخالهن في المدارس وتحصيل حقهن في الثقافة. إن هذا مؤشر واضح وخطير على المقام المتدني وفق نظرات الآخرين لحرية المرأة التي تخالف الشريعة الإسلامية الإلهية الهادفة إلى حفظ الموقف الإنساني للمرأة وعدم الانزلاق إلى منازل الهتك والسفور لما في كل ذلك من الأخطار الواضحة على المرأة بالخصوص والمجتمع الإنساني بالعموم.

والحمد لله رب العالمين

الخطوط العامة للفقه السياسي للإمام "قده"

مما لا شك فيه أن الإمام الخميني "قده" قد نهض بالإسلام نهضة قوية جداً، وأثبت من خلالها قدرة على اختراق العصور والنفاذ إليها ليأخذ مكانه الريادي في حياة الأمة بشكل عام وفي حياتها السياسية المرتبطة بإدارة شؤونها بشكل خاص،

وليلعب هذا الدين دوراً في المجال السياسي العـالمي فـي مواجهـة الأيـدلوجيات والفلسفات الأخرى التي تنبثق عنها الأنظمة السياسية الحاكمة في الساحة الدولية.

وقد برز الإسلام في هذا المجال بالخصوص عن طريق الإمـام الخمينـي "قـده" بصورة الفقه السياسي المتكامل من حيث النظرية والتطبيق الـواعي المتناسـب مـع الواقع المعاصر، ويصبح محوراً من المحاور الأساسية التي تلتف حولهـا الـشعوب وتنطلق منها.

وبالرجوع إلى الخطوط العامة للفقه السياسي عند الإمام الخميني "قـده نجـد مـا يلي:

أولاً: "تحديد المرجعية السياسية للأمة": وهذا الخط هو الذي عبر عنه الإمام "قده" بـ"ولاية الفقيه" التي تعني أن مجال الولاية لا يختص بالعبادات، أو بإضافة القـضاء والأمور الحسبية فقط، بل أن ولايته تمتد نظرياً لتطال كل الشؤون المرتبطـة بحيـاة المجتمع ككل، وخاصة في السياسة والاقتصاد، كما هي مرتبطة بالـشؤون الفرديـة، وينبغي أن يتوسع مجال الولاية تطبيقياً ليكون شاملاً.

وهذه الشمولية التي نادى بها الإمام "قده" هي التي جعلـت مـن كـل الحركـات الإسلامية الثورية المنتشرة في عالمنا واحدة متكاملة يدعم بعضها بعضاً، كبديل عن التفرقة التي كانت تعيشها قبل إظهار الإمام "قده" لنظرية القيادة والمرجعية السياسية الموحدة للأمة.

وهذه الولاية تجذرت في حياة الأمة بفضل ذلك الإنسان العظيم، وهذا ما نشهده من التسليم لقيادة خلفه آية الله العظمى السيد القائد الخامنئي حفظه المـولى، الـذي يقود الأمة حالياً من موقع الولاية المفروضة الطاعة على الأمة.

ويمكننا أن نعتبر أن خط ولاية الفقيه هو "النقطة المحورية" التي ينطلق منها الفقه السياسي عند الإمام "قده" ويدور حولها.

ولهذا يعتبر الإمام "قده" أن التمسك بخط ولاية الفقيه هو الذي يمكن أن يضمن للأمة توفر القدرة على التوحد وعلى الوقوف في مواجهة القوى الاستكبارية العالمية وعلى رأسها الشيطان الأكبر "أمريكا".

ثانياً: "رفض التبعية": وهذا الخط يعتبره الإمام "قده" من الأسس التي ينبغي على المسلمين أنظمة وشعوباً أن يعملوا على رفضها في حياتهم، لان التبعية هي عبارة عن الاقتناع بالعجز والإحباط في مواجهة الآخرين، مضافاً إلى ما في التبعية من التنكر للاصالة ومحاولة اللحوق بالغير ومحاكاته وتقليده في كل شيء، وهذا مما يعني ان تفقد الأمة حريتها واستقلاليتها وترهن بالتالي قرارها لإرادة المستكبرين العالميين لأن التبعية تتضمن بنظر الإمام "قده" إقراراً صريحاً بالعجز عن القدرة الذاتية على إدارة أمور الشعوب التي تتبنى الأنظمة السياسية والاقتصادية المخالفة لذاتها وأصالتها.

وقد ركز الإمام "قده" كثيراً في هذا المجال، حيث كان يدعو إلى اكتشاف القدرات الفكرية والمعنوية والروحية الضخمة الموجودة في الإسلام، والقادرة على توفير أفضل أمام الأمة لبناء شخصيتها المستقلة واستغلال مواردها الوافرة جداً.

من هنا رفع الإمام "قده" شعار "لا شرقية، لا غربية" ليشير به إلى إمكانية التحرر الموجود عند الأمة، إلا أنها غافلة عنها.

ثالثاً: "وحدة الأمة الإسلامية" وهذا الخط هو أيضاً من الأسس العامة للفقه السياسي عند الإمام "قده" لأنه كان ينظر إلى الإسلام بما هو في مواجهة القوى الأخرى، وأن هذا الإسلام لا يمكن أن يحكم وأن تتحرر الأمة المؤمنة به إذا بقيت على حالاتها المذهبية وتعصباتها التاريخية التي كان لها الدور السيء على صعيد الوضع الداخلي للأمة، أو على صعيد المواجهة مع قوى الاستعمار والاستكبار، حيث استغلت تلك القوى هذه الحالة المذهبية لتمزيق المسلمين أكثر ولاستفرادهم في المواجهة مما يسهل عليها ابتلاع الأمة كلها ويجعلها رهينة الخوف الدائم من هذه الصراعات الجانبية.

وقد دافع الإمام "قده" بقوة عن هذا الخط ووصم بالخيانة كل من تسول له نفسه الدعوة إلى التعصب المذهبي وتفريق الأمة، خاصة إذا كانت هجمات الأعداء موجهة إلى الإسلام كما هو واقع المعركة التي تخوض ضد القوى الاستكبارية، ولهذا نجد أن الإمام "قده" قد وقف إلى جانب كل قضايا الشعوب الإسلامية وفي مختلف المجالات، لكي يعطي القدوة عن أهمية هذا الخط الوحدوي وتأثيره الإيجابي الفعال.

لهذا رأى الإمام "قده" أن عدم وحدة الأمة سبب رئيسي من أسباب ضعف القدرة عندها على المواجهة بسبب تشتت عناصر القوى إلى أجزاء لا يقوى كل جزء بمفرده على المواجهة والصمود.

رابعاً: "تبني الطرح الإسلامي للحكم": وهذا الخط هو الذي كان الإمام "قده" يدعو إليه، وكان يحث المسلمين على الالتزام به وأن يقفوا في مواجهة كل الذين يروجون لمناهج الحكم الأخرى غير الإسلامية، وهو "قده" كان يعتبر أن الطرح السياسي في الإسلام لا ينفصل في المسار الفكري والعملي عن الطرح العبادي لأن (سياستنا عين عبادتنا، وعبادتنا عين سياستنا).

من هذا الخط حارب الإمام "قده" فكرة فصل الدين عن الدولة التي شاعت في أوساط الأمة عموماً، وعند المثقفين والمفكرين خصوصاً، وكان يرى في هذه الفكرة الخطر الشديد على الإسلام وحاضر الأمة ومستقبلها السياسي العبادي معاً، وتبني الطرح الإسلامي الذي نادى به الإمام "قده" كان على قاعدة التغيير من جانب الشعوب التي ينبغي أن تحمل هذا الإسلام وتثور به، لا على قاعدة الانقلاب العسكري التي لا تستند إلى الشرعية الشعبية والإلهية وهي الضمانة لإبقاء الانتصار بعد الوصول إليه.

من هنا، كان "قده" يركز دائماً على أن الشعب الإيراني هو خير مثال يحتذى في هذا المجال، حيث توافرت له المرجعية القيادية سياسياً، وكانت وحدة الشعب الإيراني بمختلف مذاهبه وقومياته متجلية، وكان الخيار الإسلامي هو الطرح الذي

حمله الشعب وسار به خلف قيادته، وتحقق الانتصار الكبير الذي هز العالم كله وما زالت آثاره تمتد وتتوسع إلى كل من مكان من العالم الإسلامي.

هذا بشكل مختصر ما يمكن استنباطه من الخطوط العامة للفقه السياسي عند الإمام "قده" التي يمكن إرجاع كل تفاصيل الحركة السياسية للإمام "قده" إليها.

والحمد لله رب العالمين

مواجهة المشروع الصهيوني

من القضايا الأساسية التي ركز عليها الإمام الخميني "قده" في خط سيره الجهادي الطويل والمرير ضد نظام الشاه والقوى الاستكبارية التي كانت تدعمه، هي قضية المشروع الصهيوني، وهذه القضية قد ورد ذكرها على لسانه في أكثر بياناته وخطبه المهمة طوال عشرات من السنين، منبهاً خلالها بكل الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية من خطر هذا الكيان الذي زُرِعَ بالتوافق والالتقاء بين مصالح القوى الكبرى في العالم والمشروع الصهيوني، وبهذا المعنى يقول الإمام "قده" (منذ سنوات طوال وأنا أذكِّر وأحذر المسلمين دائماً في الخطب والمقالات من إسرائيل وجرائمها...).

ولا شك أن تحذير الإمام لا ينتج من فراغ أو من مجرد حدس لا أساس له أو لا دليل عليه، وإنما كان نتيجة قراءة متميزة لأسباب نشوء ذلك الكيان وأهدافه المنشودة. وبمراجعة النصوص التي تركها لنا الإمام "قده" نتمكن من أن نحدد بعض المفردات التي شكلت المنطلقات عنده لمواجهة لمشروع الصهيوني:

أولاً: إسرائيل وليدة تقاطع المصالح بين الاستكبار والصهيونية، ويقول "قده" (لقد ولدت إسرائيل بفكر مشترك وتواطؤ بين المشرق والغرب من أجل استعمار الشعوب الإسلامية والقضاء عليها، واليوم فإنها محمية ومدعومة من قبل جميع المستعمرين).

ثانياً: خطر إسرائيل على العالم الإسلامي: وهذه المفردة نراها جلية واضحة، فقد كان "قده" يعتبر أن أهداف إسرائيل لا تقتصر ولن تتوقف عند حدود فلسطين، بل ستمدد ولتشمل الهيمنة التامة على مقدرات الأمة الإسلامية سياسياً واقتصادياً، ويقول

"قده" (لقد حذرت مراراً من خطر إسرائيل وعملائها، ولـن تـرى الأمـة الإسـلامية السعادة إلا بعد أن تقتلع جرثومة الفساد هذه من أصلها...)، ويقول في موضع آخـر (... إن هذه الغدة السرطانية "إسرائيل" الموجودة في إحدى زوايا الدول الإسـلامية لن تكتفي بالقدس).

وأما أساليب المواجهة فيحددها بما يلي:

أولاً: دعوة للدول الإسلامية لقتال ومواجهة المشروع الصهيوني: انطلاقاً من نظرة الإمام "قده" إلى إسرائيل، فقد كان يدعو إلى مواجهة هذا الكيـان الغاصـب وإلـى الاستعداد لقتاله وعدم إتاحة الفرصة أمامه ليتقوى أكثر ويستقر في أرضنا الإسلامية المغتصبة، ويقول "قده" (... إن فلسطين مغصوبة. أخرجـوا اليهـود مـن فلـسطين)، ويقول أيضاً (على الأمة الإسلامية بحكم واجبها الإنساني والأخوي وطبق الموازين العقلية والإسلامية أن لا تتأخر في طريق اقتلاع هذا الوكيل للاستعمار...).

ثانياً: دعم جهاد الشعب الفلسطيني المسلم: للأسباب الآنفة نجد أن الإمام "قـده" وقف بقوة مع الشعب الفلسطيني في جهاده ضد العدو الإسرائيلي سواء قبل انتـصار الثورة عندما أفتى بوجوب دعم مقاومة الشعب الفلسطيني أو بعد الانتصار حيث تم إغلاق سفارة الكيان الصهيوني في إيـران وتـم الإعـلان عـن افتتـاح أول سـفارة لفلسطين في إيران، وكانت الجمهورية بذلك هي السَّبَّاقة إلى دعم نـضال الـشعب الفلسطيني سياسياً. وكذلك كانت توجيهات الإمام واضحة في تقـديم كـل الـدعم العسكري والمعنوي لذلك الشعب ليبقى مستمراً في جهاده، ويقول "قده" (لقد صار من المناسب لحكومات المنطقة أن تتعاون مع الشعب المظلـوم الثـائر فـي الأرض المحتلة في فلسطين، وأن تدعم تظاهراته وثورته ضد الظلم الإسرائيلي دعماً عملياً).

ثالثاً: إعلان يوم القدس العالمي: وهذا الإعلان يعتبر من أعظم مواقف الإمام فـي دعم القضية الفلسطينية التي كان ينظر إليها "قده" على أنها قضية إسـلامية عامـة لا تختص بالشعب الفلسطيني وحده، كما كان يحاول ذلك الكثير من أذناب الاستعمار من الأنظمة العميلة لتبرير تقاعسهم وقعودهم عن نصرة الشعب الفلسطيني المـسلم،

ولذلك قال الإمام (.... يوم القدس يوم إسلامي ويوم التعبئة الإسلامية...)، ويقول أيضاً (إن يوم القدس يوم عالمي، وليس يوماً يخص القدس فقط، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين)، وكأن الإمام يريد بإعلان ذلك اليوم باسم القدس إعادة الصراع مع الصهيونية العالمية إلى جذوره الأساسية وهو المواجهة بين المشروع الإسلامي والمشروع الذي تعتبر إسرائيل قاعدة له ضد الإسلام وأمته.

ولهذا نجد أن الشعوب الإسلامية تجاوبت مع هذا النداء من الإمام "قده"، وها هي اليوم تعبر عن استجابتها لذلك النداء في الكثير من الدول الإسلامية، بينما نرى البعض الآخر من الأنظمة العميلة الساقطة تمنع جماهيرها المسلمة عن التعبير عما تكنه من مشاعر الشوق والحنين للقدس ومن مشاعر الغضب ضد الكيان الصهيوني.

من هنا دعا الإمام "قده" الدول الإسلامية إلى نبذ خلافاتها جانباً لأن في ذلك تقوية لموقع الكيان الغاصب وتحذيراً لوجوده في منطقتنا، كما دعا إلى قطع العلاقات بين إسرائيل وبين بعض الأنظمة الإسلامية لأن هذا الموقف فيه إضعاف لقدرة الأمة على المواجهة، بل اعتبر الإمام "قده" أن من أهم أسباب ثورته ضد نظام الشاه هو تعامله مع إسرائيل واعترافه بها، ويقول (إن من أسباب ثورة الشعب المسلم في إيران ضد الشاه هو دعمه لإسرائيل الغاصبة...، لقد كان يزود إسرائيل بالنفط...).

لهذا فإن هذا الكيان لن يزول إلا عبر وضع الأمة لإمكانياتها في المعركة الطويلة والمريرة ضد إسرائيل وحماتها وعلى رأسها أمريكا الشيطان الأكبر.

والحمد لله رب العالمين

قيمة التنظيم عند الإمام "قده"

من الأمور الملفتة للنظر جداً في شخصية الإمام الخميني "قده" وسيرته هو رعايته القوية والشديدة للقوانين والأنظمة المرعية الإجراء في الدولة الإسلامية، فقد كان يطبقها على نفسه كأي فرد آخر من أفراد الشعب وعلى كل المستويات، وكان يحرص دائماً على تأكيد هذا الأمر بمرأى ومسمع من مسؤولي الدولة بكل التراتبية

الإدارية الموجودة، وكان يعتبر أن التنظيم هو شأن المجتمع كله وليس شأن الدولة فقط، وإن كانت وظيفة الدولة هي السهر عن تنظيم الأمور، ويقول "قده" (يقول أمير المؤمنين (ع) في أمر أصدره "نظِّموا أموركم"، يجب على كل المجتمع أن يُنظَّم، وهذا لا ينحصر بالدرك والجيش، وإذا رُفِعَ التنظيم عن العمل فإن المجتمع سوف ينتهي. إن حفظ النظام من الواجبات الشرعية والعقلية فيجب أن يبقى النظام محفوظاً. إن أولئك الذين يقولون نحن لا نريد تنظيماً بهذا المعنى وسوف نعمل بدون ضابط إنما هم يعملون خلاف القرآن ويعملون خلاف الإسلام وخلاف مصلحة الوطن).

وسيرة الإمام الخميني "قده" في هذا المجال مستقاة من الإسلام الذي يؤكد على التنظيم الشديد في الأمور، ووصية أمير المؤمنين (ع) في هذا المجال واضحة وهي (الله الله في نظم أموركم).

والتنظيم في الإسلام يبدأ من الطريقة التي أوجبها في أهم مجال وهو "المجال العبادي" الذي يربط المسلم بربه، فالصلاة لا تسقط عن المكلفين إلا إذا صلوها في أوقاتها، وكذلك الصوم والحج، فلو أداها المسلم في غير أوقاتها لكانت باطلة وغير محققة للهدف منها، ولا شك أن هذا نحو تربية يريد الإسلام لأتباعه أن يلتزموه على مستوى كل أمورهم وشؤونهم.

ولهذا لم يُعْهَد عن الإمام (رضوان الله عليه) أنه كان يتجاوز مسؤولي الدولة في مواقع مسؤولياتهم بل كان المراجعون له في غير ما يباشر فعله كالإجابة عن الاستفتاءات يؤكد عليهم ضرورة الرجوع إلى ما تقتضيه الأنظمة والقوانين التفصيلية في هذا المجال.

هذا الفكر التنظيمي الدقيق الذي تميز به الإمام "قده" لا شك أنه لعب دوراً بارزاً في كيفية إدارة النهضة والثورة ضد نظام الشاه، ودوراً مهماً في تثبيت أركان المؤسسات التي قامت عليها الدولة بعد الانتصار، من هنا كان الإمام "قده" يتدخل مباشرة عبر التوجيه والإرشاد المستمرين للمسؤولين لكي يعود أهمية هذا الأمر ويقول (إن من المسائل التي لا بد أن أنبه عليها هي أن تراعوا التنظيم بشكل كامل.

الشجاعة غير التهور. إن الشجاعة في الحرب هي حركة بطولية عندما تكون عن تخطيط وتنظيم وصحاب، والتهور هو الهجوم على العدو بدون حساب وتنظيم. يجب أن تجري الأعمال حسب تنظيم وقاعدة...).

فالتنظيم في المسؤوليات والوظائف هو أن يحترم كل مسؤول حدود مسؤوليات الآخرين طالما أنهم يقومون بمهامها على الوجه المحقق للأغراض من دون تقصير أو إهمال.

والتزام الإمام "قده" بهذا النمط من التعامل هو تعبير عن احترام ممن هو قادر على فرض توجهاته وإرادته على الآخرين لمن يتحملون المسؤوليات في أجهزة الدولة ومؤسساتها، وهذا الاحترام هو أساس في تحصين الأشخاص والمواقع وإعطاء القوة لما يمثِّلون، وهو تعبير عن التقدير للكفاءات التي يحملها أولئك الأشخاص.

ولهذا نجد أن الإمام "قده" يؤكد على الموظفين والعمال بمختلف فئاتهم مراعاة التنظيم، كما يشدد على ضرورة احترام أنظمة السير المعمول بها ويعتبر أن الخروج عن ضوابطها مخالفة للنظام، ويقول (هناك مسألة مهمة يجب أن ينتبه إليها عمال المصانع والمناجم وجميع العمال في كل مكان والموظفون في جميع أرجاء الوطن، وهي أن يراعوا التنظيم...)، وأيضاً (... وإذا خالف أحد في الشارع قوانين الشرطة وأنظمة السير فيجب أن يلاحق).

من هنا فإن كل العاملين للإسلام ولرفعة وعزة المسلمين يجب أن يعطوا هذه القضية أهمية مميزة ومكانة خاصة في كل مواقع المسؤولية والعمل فيحترم الأعلى مسؤوليات من هم دونه بنحو تراتبي بلا تجاوز لهم ولصلاحياتهم. ولا شك أن هذا يعطي القوة ككل مواقع المسؤولية وتؤدي إلى الانضباط في حركة المسيرة الإسلامية ككل مما يعود بالنفع على الجميع، لأن فائدة مثل هذا التنظيم هي تماسك الجميع ووحدتهم وقوتهم في مواجهة كل الحالات الطارئة.

والحمد لله رب العالمين

الإمام ″قده″ والاكتفاء الذاتي

من القضايا الأساسية التي كان الإمام الخميني ″قده″ يشدد على ضرورة الاهتمام بأمرها هي قضية (الاكتفاء الذاتي) التي تلعب دوراً كبيراً في تحرير إرادة نظام وشعب الجمهورية من أي ضغوطات أو تأثيرات يمكن أن تمارسها القوى الكبرى التي تهيمن على الساحة العلمية والصناعية والتكنولوجية، ولا تسمح لأبناء شعوب العالم الثالث المستضعف بالوصول إليها حفاظاً على المراكز المتقدمة التي وصلت إليها تلك الدول بواسطة ذلك التقدم العلمي والتكنولوجي الذي سخرته لإخضاع دول العالم.

ولم يقتصر تأثير تلك الدول على المجالات الصناعية فقط، بل بما استطاعت أن تطوره من أساليب المكننة الزراعية وزيادة إنتاجها من الحبوب والغلات، فعملت على محاربة الكثير من الدول التي تتمتع بقوة زراعية تمهيداً لإضعافها من هذه الجبهة وجعلها رهينة لها أيضاً على مستوى الغذاء ولقمة العيش الأساسية، وهذا ما نلاحظ في الكثير من الدول التي كانت مصدرة لأنواع عديدة من المواد الغذائية الرئيسية فإذا بها تصبح مستوردة لهذه المواد كمصر وإيران وغيرهما.

الإمام ″قده″ الذي كان يلمس معاناة شعبه ومعاناة أمته الإسلامية من هذه الهيمنة الاستكبارية، وكان يرى النهب المستمر والمتواصل لثروات الأمة من جهة، وإضعاف قدرات هذه الأمة على كل المستويات العلمية والصناعية والغذائية، وعايش الفترة والحرجة التي توقفت فيها المصانع الكبيرة والمهمة عن العمل والإنتاج في الجمهورية بسبب غياب المهندسين الأجانب الذين كانوا يُشْغِلون تلك المؤسسات الإنتاجية الضخمة مما أدى إلى إيقاف عجلة العمل فيها لسنوات لعبت دوراً سلبياً على مستوى عموم الشعب المسلم في إيران.

من هنا كانت صرخة الإمام ″قده″ وكانت نداءاته المتكررة والمتوالية للشعب المسلم في إيران بأن ينفض عنه غبار الاتكالية على ذلك العالم المفترس والفارغ من كل رحمة إنسانية، وأن يشمر عن سواعد أبنائه ويستغل قدراته في سبيل تحقيق

الاكتفاء الذاتي على مستوى ذلك الشعب أولاً، وليعطي الأمة الإسلامية نموذجاً قابلاً للتكرار من خلال إبراز قدرة هذه الأمة على أن تصنع حاضرها وتخطط لمستقبلها من دون الارتهان للخبرات والآلات المستوردة من ذلك العالم المدَّعي للمتمدن.

ولهذا نراه "قده" يربط استمرار الثورة والدولة بالوصول إلى درجة الاكتفاء الذاتي ويقول (إذا أراد شعبنا الشريف أن ينتصر في هذه الثورة فعليه أن يشمر عن ساعده ويبادر إلى العمل من داخل الجامعات إلى الأسواق والمعامل والمزارع والحقول حتى الوصول إلى الاكتفاء الذاتي والوقوف على قدميه).

إن هذا التأكيد الصادر عن الإمام "قده" كان خير معين لأبناء ذلك الشعب الكبير لكي يبرز أبناؤه قدراتهم وكفاءاتهم العلمية والصناعية، وكان خير عامل لزرع الثقة والعزم والتصميم على خوض غمار تلك الميادين بدلاً من عملية الارتهان للخارج مع ما فيها من مهنة وإذلال واستجداء.

ولهذا كان يدعو إلى عدم السقوط أمام الأزمة الاقتصادية التي عملت تلك الدول على إيصال الشعب إليها، وكان الرد هو التشديد على ضرورة الشروع بالتحصين الداخلي من خلال عملية بناء شاملة ينهض فيها الشعب بفئاته كلها لمواجهة الآثار والنتائج السلبية لأي حصار، ولهذا يقول "قده" (نحن لا نخاف من الأزمة الاقتصادية ولا من غيرها من الأمور الأخرى، ولقد بنينا على أن نزرع ونحصد بأنفسنا وسوف نتأكد من إنتاجنا ولن نعطي فرصة لأحد حتى يأتي وينهب ثرواتنا...).

ومن هنا فإن الحصار الذي فرضته أمريكا على إيران قد يكون لعب دوراً سلبياً من جهة، إلا أن ذلك الشعب المنقاد لقيادته الحكيمة استطاع أن يستوعب ذلك الحصار ويحوله إلى عامل إيجابي على مستوى تطوير معامله وصناعاته وعلى مستوى الكثير من الأمور التي كانت إيران زمن الشاه تتكل فيها على الدول الكبرى.

والحمد لله رب العالمين

مؤسسات الدولة عند الإمام الخميني "قده"

من الواضع أن كل دولة تقوم على مجموعة من المؤسسات الدستورية التي تهتم بالجوانب التشريعية والتنفيذية على مستوى كل ما تحتاجه حركة المجتمع، والمفترض فيها أن تكون قادرة على المواكبة والتتبع حتى تستطيع القيام بما هو مطلوب منها وقت الحاجة، لئلا تتأخر عن حركة شعبها بنحو يلزم عن ذلك تخلف، ولا تتقدم بحيث لا تستطيع الناس المتابعة.

من هنا، فالوظيفة الأساس لمؤسسات الدولة هي مراعاة المصالح العامة للشعب والسعي للحفاظ عليها وتقويتها من جهة، واجتناب المفاسد العامة ومحاولة إنقاذ الشعب منها إن كانت قائمة.

وفي الإسلام تأخذ هذه المؤسسات دوراً مهماً وفاعلاً، لأنها الانعكاس العملي للشريعة، ولهذا مطلوب في أصل عملها أن لا تخرج عن الحدود الشرعية في سن القوانين أو تنفيذها، بل يعتبر الإسلام أن ما هو مخالف لأسسه مرفوض ولا يجب على الناس تنفيذه والتقيد به وإنما يجب السعي لإلغائه.

من هذه المقدمة نرى أن الإمام "قده" يركز على ضرورة أن تكون هذه المؤسسات وبالأخص منها التي تتولى الجانب التشريعي ذات دور كبير في المحافظة على التوجه الإسلامي للدولة، كونها المخولة بإصدار القوانين والتشريعات التي تعتبر أساس الحركة التنفيذية لكل المؤسسات الأخرى، فتراه يعبر عن مجلس الشورى بتعبيرات مهمة فيها إشارات واضحة إلى المسؤولية الخطيرة التي يتولاها ويقول (يجب على مجلس الشورى الإسلامي إرشاد الأمة، لأن المواضيع التي تطرح فيه سوف تظهر في خارج المجلس وتنعكس على الناس، فمسؤولية المجلس من هذه الجهة الكبيرة وهي أنه المرشد والهادي للناس)، ثم يقول في كلام آخر (المجلس الذي هو أساس أي دولة إنما هو مكان بحث وصياغة النظام الأخلاقي للأمة، والتعامل مع المخالفين للقانون بهدوء وبنحو أخلاقي أفضل لرفع الاختلافات..).

وبهذا نرى أن الإمام الخميني "قده" يعتبر المجلس بأنه المؤسسة التي تشكل الدعامة الأساسية في تحول الإسلام من نظريات إلى أنظمة تفصيلية تراعي كل الأسس والضوابط الشرعية، ولهذا لم يكتف الدستور الإسلامي بعمل مجلس الشورى، وإنما أوجد مؤسسة أخرى إلى جانبه تملك حق نقض قراراته وهي (مجلس صيانة الدستور) الذي له الحق برد أي قانون يصدر المجلس إذا وَجَد فيه مغمزاً أو مخالفة لقاعدة من القواعد الشرعية.

وبهذا يختلف دور هذه المؤسسات في الدولة الإسلامية عن دورها في الأنظمة خارج إطار الإسلام، فوظيفة تلك المؤسسات هناك تشريع كل ما هو قائم وإعطاؤه الصفة القانونية من دون ملاحظة الأبعاد الأخروية كالتي يحملها ديننا ويُطْلَب من المؤسسات التشريعية رعايتها ومن التنفيذية منع وجودها بين أوساط الناس والجماهير بسبب مخالفتها الواضحة.

وهكذا ينسحب هذا الأمر عند الإمام "قده" على مستوى مؤسسات التربية والتعليم ويقول (إن مسألة الثقافة والتربية والتعليم هي في رأس المسائل المطروحة في الدولة، وإذا حُلَّت المشاكل التعليمية والثقافية بالشكل الذي تقتضيه مصالح الوطن فسوف تُحل المشاكل الأخرى بسهولة).

وهكذا الأمر بلحاظ كل المؤسسات الأخرى ومنها الأمنية والعسكرية المطلوب منها حماية الوطن من الأخطار الخارجية أو الداخلية من دون أن تتحول إلى سيف مسلَّط لحماية النظام وأهله من شعبه وأمته كما هو الحال في الكثير من أنظمة العالم الثالث المتخلفة كثيراً في هذا المجال.

وبهذا كله يجعل الإمام "قده" الدولة بكل مؤسساتها في خدمة الشعب وقضاياه، وإذا لم تكن في هذا الموقع فهي تفقد شرعيتها وتسقط منم الاعتبار لأنها خالفت وظيفتها وخانت الأمانة التي ائتُمنت عليها وخرجت عن مسارها الصحيح.

إن مثل هذه الدولة التي لن نِجدها إلا في رحاب الإسلامي هي الهدف الذي ينبغي علينا السعي لإيجاده في الأرض لتحقيق الأمن والسلام والعدالة الاجتماعية المفقودة اليوم في معظم بقاع العالم بسبب انحراف الدول عبر قوانينها وأنظمتها.

والحمد لله رب العالمين

حول رسالة الإمام "قده" إلى غورباتشوف

تميزت رسالة الإمام الخميني "قده" إلى زعيم الاتحاد السوفياتي الأخير "غورباتشوف" بأنها سابقة في تاريخ العلاقات بين الدول والشعوب في العصر الحديث، بل ظهرت هذه الرسالة وكأنها خارجة عن حدود هذا العصر الذي لم يعهد مثل هذا النمط من أساليب التعامل في الدعوة إلى أية فكرة أو عقيدة.

من هنا كانت هذه الرسالة محطة مهمة في مسيرة الإسلام الحديث بقيادة مفجر الثورة الإسلامية المباركة ومجدد هذا الدين العظيم، وإذا أردنا في هذه العجالة أن نستعرض بعضاً من الدلالات التي تشير إليها الرسالة يمكن التوقف عند التالي:

أولاً: القناعة الراسخة عند الإمام "قده" وهي قناعة مستقاة من الإسلام، بأن هذا الدين هو وحده الكفيل تحرير الإنسانية من كل القيود المكبلة بها، والقادر على قيادة البشرية نحو المستقبل المضموم دينياً ودنيوياً ويحقق السعادة والعدالة للجميع.

ثانياً: إثبات إفلاس كل العقائد الوضعية عن حل مشاكل الإنسانية التي تتخبط بها، والتي لم تجد أملاً في الخلاص منها.

ثالثاً: إثبات عالمية واستمرارية الرسالة الإسلامية على التكيف مع ما تحتويه من مبادئ ثابتة وأخرى متحركة على استيعاب كل تطور الحركة الفكرية ونتاجاتها في أي عصر من العصور، ومن دون أي قلق أو تردد في هذا المجال.

رابعاً: زرع الثقة والقوة الإيمانية في نفوس المسلمين الذين كانوا حتى الأمس القريب يعانون من وطأة الضغط الاستكباري عليهم، ويعيشون اليأس والإحباط، فإذا بالإمام "قده" يدفع بهم إلى مرحلة الهجوم القوي المستند إلى قوة العقيدة وصلابة الإيمان ليقتحم القوتين العظميين في العالم عبر طرحه الإسلام عليها، وهذا ما ولَّد وما زال يولِّد الكثير من عناصر القوة والعزيمة والإرادة عند المؤمنين الملتزمين المنطلقين من الإسلام.

خامساً: إشعار كل الذين يحملون الفكر البعيد عن الله وشريعته بان المستقبل لن يطول لهم، تماماً كمرحلة تأسيس دولة الإسلام الأولى بقيادة النبي (ص) التي بدأ

عقيبها الرسول (ص) بإرسال الكتب التي تدعو كل الحكام والملوك آنذاك إلى الاستجابة للنداء الإلهية الذي انطلق من الجزيرة العربية ومن مكة تحديداً معلناً نهاية عبادة الأوثان وبداية عصر عبادة الرحمان، فإن رسالة الإمام "قده" تحمل في طياتها مثل هذه البشارة المستقبلية لمن قرأ تاريخ الدولة الإسلامية زمن النبي (ص).

سادساً: ترهيب الأعداء من إمكانية قدرتهم على التسلط على الأمة الإسلامية، إذ ان من يدعو العالم إلى التزام عقيدته وشريعته التي تحمل صفة عالمية إلهية، لن يقبل أن يرضخ فكراً وعقيدة لغير الله عز وجل، وفي هذا قطع لآمال المستكبرين في تخريب عقيدتنا وجرنا إلى الإيمان بعقائدهم الفاسدة وسلوكياتهم المنحرفة، ولهذا نجد أن الإمام "قده" في رسالته يوصي غورباتشوف بإرسال الشيوعية على متحف التاريخ.

من هنا نقول إن من واجب المسلمين في هذا الزمن أن يبادروا كما هو الحال الآن إلى تقوية ارتباطهم بالإسلام، بعد ما أثبت ذلك الارتباط قدرته على تغيير واقع هذه الأمة التي عادت إليها الروح الجهادية عبر استنهاض الإسلام بقيادة ذلك الإمام الملهم الذي فتح لها الطريق بقوة لتندفع إلى صلب الحركة السياسية العالمية وتصبح الرقم الأصعب في المعادة اليوم والتي يحار الأعداء من كيفية مواجهتها والسيطرة عليها لمنعها من تحقيق هدفها الكبير المتمثل بإنقاذ الأمة الإسلامية وكل عالم المستضعفين من سيطرة القوى الاستكبارية.

إن القوة التي يزرعها فينا دين الله كفيلة بأن تجعلنا قادرين على فرض ديننا وسياستنا على العالم لا من منطلق التسلط بل من منطلق الرحمة الإلهية المملوءة بها قلوبنا من أجل خلاص البشرية، هكذا علَّمنا الإمام كما تعلَّم هو من الإسلام وسيرة أهل البيت (ع)، وهكذا يريد لنا أن نكون وسنكون.

والحمد لله رب العالمين

الحوزة والجامعة عند الإمام "قده"

من القضايا المهمة التي أثارها الإمام الخميني "قده" وأعطاها أولوية تتناسب مع حجم تأثيرها هي قضية (الحوزة والجامعة) التي تعالج العلاقة ما بين العلماء خريجي الحوزات الدينية والطبقة المثقفة التي تخرج أغلب أفرادها من الجامعات في شتى حقول المعارف الإنسانية العامة.

والسبب في تركيز الإمام "قده" على هذه القضية هو أن هاتين الفئتين هما ركيزة العلم والمعرفة ومنبع الحركة الفكرية والأساس للحركة الإنتاجية في المجتمع على كل المستويات، ونظراً لحساسية هذه المسألة أدرجها الإمام "قده" في وصيته كتعبير عن ضرورة إيلائها ما تستحق من الرعاية والاهتمام.

والسبب الآخر أيضاً هو النظرة السلبية التي كان يحملها كل فريق عن الفريق الآخر نظراً لاختلاف البرامج الدراسية والأساليب المتبعة في كل منهما، فالدراسات الحوزوية لم تخرج عن الإطار التقليدي المتبع منذ مئات السنوات، بينما الدراسات الجامعية تقوم على أساس الإبداعات التي حققها الإنسان في مجالات المعرفة المختلفة مع تطوير في البرامج والمناهج، والدراسات الحوزوية مقتصرة على أنواع المعارف الدينية الإسلامية بالخصوص ولا تلحظ الفكر الوضعي الإنساني كجزء من برامجها، والدراسات الجامعية تلحظ الفكر الوضعي كأساس ولا تلحظ الفكر الديني إلا بمقدار ما يدخل ضمن المنهاج الدراسي كمادة للمقارنة في بعض أنواع الدراسات الجامعية.

وبما أن الإنسان هو ابن الفكر الذي ينهل من معينه، فقد أدى ذلك في أكثر الأحيان إلى حصول حالات من الجفاف في العلاقة بين هذين الفريقين انعكست اتهامات متبادلة بينهما، فالحوزويون يتهمون الجامعيون بأنهم لم ينالوا حظاً من المعرفة بالإسلام وبالتالي هم غير جديرين وغير مؤهلين لأن يتدخلوا في قضايا الفكر الإسلامي لأنهم يُعرِّضونها بهذا للتشويش أو للمسخ، والجامعيون يتهمون

الحوزويين بأنهم منغلقون غير منفتحين ولا يريدون التطور أو التقدم لأمتهم وشعوبها، وأنهم سبب لتخلفها وتقهقرها وتراجعها.

ومن هنا كانت الجامعات معاقل لكل أنواع الفكر الوضعي بكل توجهاته الإلحادية منها وغيرها، والحوزات كانت وما زالت المعاقل الأساسية للفكر الديني، وكانت كلٌ من الحوزة والجامعة تؤثر في المحيط الاجتماعي العام تبعاً لقوة موقعها وتوجهات المجتمع، ففي المجتمعات التي يغلب عليها طابع التدين كانت الحوزة هي المؤثرة، وفي المجتمعات المنفتحة على كل التطورات الفكرية كانت الجامعة صاحبة التأثير الأكبر، بل في بعض البلدان كان الأمر مختلفاً ما بين المدن حيث الجامعات، والأرياف والقرى والمناطق البعيدة عن تأثير الفكر الجامعي الوضعي بأغلبه، فكان تأثير الجامعيين في المدن اكبر بينما تأثير الحوزويين في المناطق الأخرى أكثر.

ولا شك أن هذا الصراع الخفي بل المعلن في بعض الحالات كان يلعب دوراً سلبياً في نفوس العامة، فالحوزوي من موقعه الديني له تأثيره التاريخي في مجتمعه، والجامعي بدوره المتجدد أو الجديد له تأثيره بما عنده من خبرة واختصاص في أحد حقول المعرفة التي هي مورد حاجة المجتمع.

الإمام "قده" الذي عاصر هذه الحالة طويلاً وعايش تأثيرها من الطرفين معاً، كان يرى أن المستفيد الأكبر من تلك العلاقة السلبية أو على الأقل غير المنسجمة الأنظمة المتسلطة التي كانت تغذي في الكثير من الأحيان هذه العلاقة السلبية لتكون قادرة على تجيير كل طرف لصالحها.

من هنا كان يدعو "قده" إلى ضرورة أن تتلاقى هاتان الفئتان طالما أنهما لخدمة الأمة وشعوبها ونضالاتها، بل أن تتوحدا لمواجهة الأخطار المحدقة والمؤامرات الشيطانية التي تخططها دوائر الاستكبار العالمي وتنفذها الأنظمة العميلة، وكان يرى أن ضمَّ جهود هاتين الفئتين كفيل بالنهوض بالشعب قيامة الكتلة الواحدة المتراصة

باعتبار أن منبع الاختلاف في التوجهات هو من هذين الموقعين، فإذا تواصلا وتكاملا واتحدا، انعكس ذلك وحده في مسير الشعب ووحدة في توجهاته وأهدافه.

ومن النصوص المهمة عند الإمام "قده" حول هذا الأمر (إن لمسألة الحوزات العلمية والفقهية والجامعات أهمية خاصة لأنها بمنزلة المواد الخام لإمكانيات الشعب والدولة، فهذان المقامان مرجع لنشر حقائق الإسلام والمسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومسائل أخرى هي موضع اهتمام الدولة، ومع وجود هذه الفئة من الروحانيين والجامعيين تدب الحياة في أوصال الدولة وبالتالي فإن صلاح هؤلاء وإصلاحهم ينتهي إلى صلاح الدولة، وكذلك فإن فسادهم ـ لا سمح الله ـ منشأ لفساد الشعب، إذ لو أن المدرسة والجامعة كانتا فعالتين وصالحتين لما كانت الحكومات الماضية والقضاء الماضي في تلك الحالة المزرية التي كانت سائدة، ولما حصلت تلك المصائب لدولتنا وشعبنا).

من هذا كله ينبغي على العاملين السعي الدؤوب من أجل تحقيق هذا التواصل ما بين الفريقين نظراً لتأثيراته الإيجابية التي لا تخفى على أحد.

والحمد لله رب العالمين

الحج عند الإمام "قده"

اعتبر الإسلام فريضة الحج ركناً أساسياً من أركانه، وطلب من المسلمين التعامل معه على هذا الأساس حتى ورد في بعض الروايات بأن على ولي أمر المسلمين أن ينتدب مجموعات من أبناء الأمة عندما لا يكون هناك من مستطيع يجب عليه الحج حتى لا يفرغ بيت الله الحرام ممن يطوفون حوله.

الإمام "قده" تعامل مع هذه الفريضة بطريقة متمايزة جداً ومختلفة عن النمط التقليدي الذي كان متعارفاً ومتوارثاً عبر الأجيال، وأوضح أبعاداً كثيرة لم تكن ملحوظة عند من سبقه من العلماء والمراجع.

وبنظرة إلى نصوص الإمام "قده" يطالعنا ما يلـي (إن لفريـضة الحـج خـصائص متميزة بين كل الفرائض الإلهية، ولعل الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة تفوق على جوانبها الأخرى مع أن لجانبها العبادي خصائص متميزة أيضاً). ومن هنا كان تركيز الإمام "قده" على أهمية إيلاء الأبعـاد الـسياسية لهـذه الفريـضة دورهـا المطلوب في حياة الأمة الإسلامية التي يمنحها الحج فرصة سنوية للتلاقي والتواصل والتعارف والتعرف على المشاكل والعقبات التي تعيشها الجماعات الإسـلامية فـي مختلف بقاع العالم ليكون هذا ما يشبه أو هو مؤتمر سنوي فرضه الله على المسلمين ليشعروا بوحدتهم ومن ورائها بقوتهم وعزتهم، ولهذا نرى الإمام "قـده" يـشير إلـى الفارق الأساسي بين طريقتي أداء الفريضة بين الماضي والحاضر ويقول (نحن ليس لنا إلى الآن من هدف حين التشرف إلى مكة لحج بيت الله سوى اجتماع مجموعـة أشخاص، وأما أن يلتقي هناك أشخاص مؤثرون من الحكومات وكبار القـوم ممـن يستطيعون أن يدرسوا القضايا السياسية والاجتماعية للمسلمين، فهذا الأمـر مغفـول عنه).

ويعتبر الإمام "قده" أن تفريغ هذه الفريضة عن أبعادها السياسية من الوسائل التي استغلها المستكبرون والمجرمون لمنع تواصل المسلمين مع بعضهم الـبعض ليبقـوا متفرقين أيدي سبأ تتلاعب بهم القوى الكبرى وفق مصالحها ومنافعها ويقول (إن من الفلسفات الكبرى للحج "بعده السياسي" الذي تعمل كل أيدي المجرمين والجناة من جميع الأطراف من أجل سحقه، وقد أثَّرت دعاياتهم الواسـعة فـي المـسلمين مـع الأسف، حتى ان الكثيرين منهم لا يرون سفر الحج سوى عبادة جافة خاليـة خاويـة من دون التفات إلى مصالح المسلمين).

ويستنكر الإمام "قده" طريقـة أولئـك الجـاهلين المتنكـسين الـذين يعارضـون النشاطات السياسية أثناء أداء الفريضة ويقول (ما أكثر الجاهلين المتنـسكين الـذين يقولـون إنـه لا يجـب أن تُكْـسَر قدسـية بيـت الله والكعبـة العظيمـة بالـشعارات

والمظاهرات والمسيرات وإعلان البراءة، وأن الحج مكان للـذكر والعبـادة، ولـيس ميداناً لتنظيم الصفوف والقتال).

وبالرجوع إلى نصوصه "قده" نرى أنه يقسم منافع الحج إلـى قـسمين أساسـيين "أخروية" و"دنيوية"، والأخروية تبدأ عنده من حين الخروج من البيت حيـث يعتبـر سفر الحج هجرة إلى الله ورسوله وأنه الاستجابة الحية للنداء التاريخي الذي أطلقـه خليل الرحمة "إبراهيم" (ع) وهو نداء التوحيد والفطرة، وهو من أهم منطلقات بنـاء المجتمع التوحيدي العابد، وهو قهر لشياطين الجن والإنس الذي يوحون للبشر بسوء الأفعال وخبث السرائر والنوايا الشريرة، وإعلان البراءة من كل مـا يمثلـه الـشيطان وأزلامه في هذه الحياة الدنيا ويقوم (السلام على المؤمنين المهاجرين مـن بيـوتهم إلى بيت الله الحرام....)، و(... احملوا من ربكم نداءً إلى المسلمين في قارات العالم كافة، وذلك أن لا يعبدوا إلا الله...)، و(الحج هو منطق رسالة إيجاد وبنـاء مجتمـع المستقبل المطهر من الرذائل المادية والمعنوية كافة)، و(... إن رجم الشيطان هو رمز لرجم شياطين الإنس والجان، حينما ترجمون الشيطان عاهدوا ربكم على طرد كـل الشياطين والقوى الكبرى من بلادكم الإسلامية العزيزة...).

وأما المنافع الدنيوية فتبدأ من أن الحج فرصة لانعقاد مـؤتمر سـنوي للمـسلمين يتباحثون فيه عن كل قضاياهم، وهو دعوة إلى وحدة الأمة بكل شعوبها وقومياتهـا تماماً كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو أو عجز عملت على مـساعدته الأجـزاء الأخرى لأن تركه وشأنه سيعود عليها جميعاً بالضرر والخسارة، وهو مناسبة لفـضح السياسات الخاطئة أو المنحرفة التي قد يسلكها بعض حكـام المـسلمين فتتكـاثف جهود هؤلاء المسلمين من أجل تصحيح الأوضاع في أنظمة الحكم التي تدير شئون الأمة، وهو الفرصة التي تعين المسلمين على تحديد أولوياتهم والعمل مـن أجلهـا وتحديد أعدائهم ووضع الخطط لمواجهتهم والبراءة منهم ومن خطهم ونهجهم فـي هذه الحياة الدنيا، ويقول (والآن حيث يجتمع المسلمون حول كعبة الآمال... للقيـام بهذه الفريضة الإلهية وعقد هذا المؤتمر الكبير... ومن الواضـح للجميـع أنـه لـيس

بمقدور أي إنسان أو دولة عقد مثل هذا المؤتمر الكبير، وإنه لأمر الله الذي صنع مثل هذا الاجتماع العظيم...)، و(من جملة واجبات المسلمين في هذا الاجتماع العظيم، دعوة الشعوب والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة ونبذ الخلافات... وفي إيجاد "جبهة المستضعفين" والتخلص بشعار "لا إله إلا الله" من أسر القوى الشيطانية...)، و(لأن المسلمين لا يستطيعون إظهار المصائب والمظالم التي يفرضها عليهم الحكام المسلطون بسيف الإرهاب والسجن والإعدام، فيجيب أن يسمح لهم بأن يعرضوا مظلوميتهم ويبينوا مصائبهم في حرم الأمن الإلهي...)، و(إن الدول الأفريقية المسلمة تئن اليوم تحت وطأة السيطرة الأمريكية وبقية الأجانب وعملائها، وترفع أفريقيا المسلمة صوتها المظلوم... وإن فلسفة الحج أن تكون جواباً لهذه النداءات المظلومة).

هذه بنحو مختصر نظرة الإمام "قده" إلى فريضة الحج، ونسأل العلي القدير أن يعين المسلمين على أدائها بهذه الرؤية المتجددة.

والحمد لله رب العالمين

الاقتداء بأهل البيت (ع)

إن السيرة الذاتية والعملية والمواصفات الشخصية للإمام الخميني "قده" يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا القائد الرباني الملهم كان يعتبر أن الأخذ بسيرة النبي (ص) وأئمة أهل البيت (ع) هي حجر الأساس في بناء الشخصية الإسلامية المؤمنة والمجاهدة والواعية والقادرة على تحمل أعباء المسؤولية والقيام بالمهام الرسالية على الوجه الأفضل.

ولهذا يعتبر الإمام "قده" أن سيرة أهل البيت (ع) مدرسة متكاملة على الصُّعُد النظرية والإيمانية والعملية كافةً، وتؤمن هذه المدرسة لمنتسبيها كل الأجوبة عن الاحتياجات التي تستلزمها مسيرة العالمين، سواء في مجال الارتباط بالله وتنمية العلاقات الإيمانية والروحية، أو في مجال الفهم والاستيعاب لطروحات الإسلام في

شتى مناحي الحياة العملية، أو في مجالات التطبيق الواعي الذي يضع أمامه الأهداف الكبرى للإسلام ويحسن الاستفادة من الظروف القائمة وتجييرها لصالح ما يسعى إليه، أو على مستوى البذل والعطاء والجهاد والتضحية بالمال والنفس إذا اقتضت مصلحة الإسلام والأمة ذلك.

من هنا كان الإمام "قده" يفتخر بالانتماء إلى خط أهل البيت (ع) من دون مواربة أو محاباة حتى انه أثبت ذلك في وصيته الخالدة للأمة مبتدئاً بالتسمية بذكر "حديث الثقلين"، ويقول "قده" في هذا المجال (نحن نفخر ويفخر شعبنا المتمسك بالإسلام والقرآن بأننا أتباع مذهب يهدف إلى إنقاذ القرآن من المقابر، .... نحن نفخر بأننا أتباع مذهب وُضِعَتْ أسسه بأمر من الله ورسوله الأكرم... نحن نفخر بأنه من فيض إمامنا المعصوم كان نهج البلاغة... نحن نفخر بأن أئمتنا المعصومين بدءاً من علي بن أبي طالب وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي (عج) هو حي يراقب الأمور بمشيئة الله.... نحن نفخر بأن الأدعية وهي القرآن الصاعد وفيها الحياة إنما هي من فيض أئمتنا المعصومين... نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري، ففقهنا هذا البحر المعطاء بلا حد هو من آثار جعفر الصادق (ع)... نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين (ع) ونلتزم باتباعهم... نحن نفخر بأن أئمتنا المعصومين (ع) قضوا حياتهم سجناً ونفياً وتشريداً في سبيل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف القرآن الكريم، وأحدها تأسيس الحكومة العادلة واستشهدوا في جهادهم لإسقاط حكومات الجور والطغيان في عهودهم...).

ولا شك أن هذا الافتخار بالانتماء إلى مدرسة أهل البيت (ع) لا يذكره الإمام "قده" لمجرد التغني والتلطي خلف ذلك التراث الرائع، وإنما لكي يكون ملهماً للحركة ودافعاً للجهاد ووسيلة أساس من وسائل الاغتناء الإيماني والروحي والسلوكي المحفز للسعي والعمل، وهذا ما يبينه "قده" عندما يتحدث عن عيد الغدير وما يرمز إليه بالنسبة إلينا فيقول (إحياء هذا العيد ليس من أجل الزينة وإنارة الأضواء... بل المهم هو أن نتعلم كيف نتولى... فالله تبارك وتعالى لم يجد بين البشر بعد رسول الله (ص) من يستطيع إقامة العدالة بذلك النحو... فيأمر رسول الله حينئذٍ

أن يُنصِّب أمير المؤمنين (ع) الذي يملك إمكانية إجراء العدالة... ويملك إمكانية تشكيل حكومة إلهية...).

وأكثر ما يقف عنده الإمام الخميني "قده" من سيرة أهل البيت (ع) هي ذكرى عاشوراء بما تضج به من صور التضحية والفداء والبطولة والاستشهاد في سبيل الله، فيراها عنصراً إلهامياً لا ينضب عطاؤه عبر العصور، بل يزداد قوة وتأثيراً في الأتباع والأنصار والموالين لكي يكونوا على مستوى الانتماء الرسالي والعقائدي والجهادي لعاشوراء الحسين (ع)، بل إنه يرى أن من أسباب ديمومة الإسلام وبقائه هو ذلك العطاء الكبير الذي تجسد على أرض كربلاء كأروع صورة من صور البسالة والحماسة والاستشهاد في سبيل الله والعقيدة والأمة، ويقول "قده" (لقد أغاث سيد الشهداء الإسلام وأنقذه... إن مجالس العزاء إنما هي لحفظ دين سيد الشهداء... إن أولئك الذين يقولون لا تقيموا مجالس عزاء سيد الشهداء لا يفهمون ما هو دين سيد الشهداء...؟ ولا يعلمون أن هذا البكاء وهذه المجالس هي التي حَفِظَتْ هذا الدين، لقد أنقذ الإمام الحسين (ع) الإسلام...).

بل إن الإمام "قده" يرى أن انتصار الثورة الإسلامية في إيران مدينة بكل ما وصلت إليه للإمام الحسين (ع) وثورته، ويقول (يجب علينا أن نعتلي المنبر كل يوم لأجل حفظ هذا الدين ولأجل حفظ هذه الثورة، إن هذه الثورات مدينة للإمام الحسين (ع))، ويرى أن الاستمرار في حفظ الثورة وديمومة بقائها مرهون بمجالس العزاء ويقول (... فنحن إنما قمنا بالثورة من أجل إحياء شعائر الإسلام لا من أجل إماتة شعائر الإسلام، والإبقاء على عاشوراء حية هو موضوع سياسي وعبادي مهم جداً، فإقامة العزاء من أجل شهيد أعطى كل شيء في سبيل الإسلام مسألة سياسية، وهذه المسألة لها دور كبير في دفع مسيرة الثورة إلى الأمام...).

ولهذا يرى الإمام "قده" أنه كلما كان الإسلام في خطر من جانب الأعداء فيجب على المسلمين أن يمارسوا نفس الدور الحسيني في المقابل ويقول "قده" (في اليوم الذي يدرك فيه المسلمون احتمال أن يكون الإسلام في خطر فإن عليهم حينذاك أن

يقوموا بنفس عمل الإمام الحسين (ع)، في اليوم الذي نحتمل فيه أن الإسلام في خطر علينا جميعاً أن نضحي، ويجب أن نبدأ العمل...).

من هنا تشكل مجموعة كلمات الإمام "قده" دليلاً قاطعاً وجليلاً على ضرورة أن يعود كل العاملين والمجاهدين والرساليين ليستقوا من تلك السيرة النقية للأئمة (ع) بشكل عام، والتوقف عند ثورة الإمام الحسين (ع) وبالخصوص، وأن يستفيدوا من تلك السيرة المشرقة في واقعهم العملي المتحرك في مواجهة كل أعداء الأمة من الكفار والمنافقين، وهذا ما يحقق أهداف الأئمة (ع) في كل عصر وزمان وأنهم ما زالوا حاضرين (ع) في عمق ساحات العمل والحوادث كمعلمين ومرشدين إلهيين لمسيرة المجاهدين الملتزمين.

والحمد لله رب العالمين

مقام العبودية عند الإمام (قده)

من المواصفات الجليلة والرفيعة الشأن في عقيدتنا الإسلامية (العبودية) التي تعني الانقطاع إلى الله وحده والتخلي عن كل ما سواه والاتكال عليه دون الآخرين والاستعانة به وحده، لأنه القادر على منح القوة والإرادة والعزيمة للإنسان في مواجهة كل ما يمكن أن يشكّل خطراً عليه وعلى مسيرته وعقيدته.

وقد كانت هذه الصفة ملازمة للنبي (ص) وأهل بيته (ع) واصطبغت بها حياتهم حتى صارت شعاراً لهم دون سواهم، برزت بكل قوة ووضوح في العديد من المواقف؛ فها هو رسول الله (ص) بعد أن أدميت قدماه عندما رفضه أهل الطائف يقول "اللّهم ان لم يكن بك علَيَّ غضب فلا أبالي". وها هو علي (ع) يبيت على فراش النبي (ص) من دون أن يسأل عن مصيره بل يقول "أو تسلم يا رسول الله"؟ وها هو الحسين (ع) يقول بلسان الحال (إلهي تركت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراك).

هذه المدرسة الإلهية التي فرضت شعاراتها على النـاس أجمعـين مـن المـوالين والمحبين، بل الأعداء والمبغضين، هي التي ركن إليها الإمام الخميني (رضـوان الله عليه)، واستمد من علوم أصحابها ما أوصله إلى المقام السامي والرفيع في درجات الرقي والتكامل الإيماني والروحي. فكان خير تلميذ لأعظم مدرسة إنـسانية أبـرزت الإمكانيات والقابليات البشرية بأروع ما يمكن، وأعطت للإنسانية النماذج الكاملـة، لكي ينهل البشر كلهم من معينها الذي لا ينضب.

لقد اتخذ الإمام (قده) من مقام عبوديته نقطة الانطلاق في دعوته للأمة الإسلامية للرجوع إلى قواعدها الأصيلة، إلى الله، إلى الإسلام، إلى القرآن، وإلى سـيرة النبـي الأعظم (ص) لتستمد من كل هذه القوى المعنوية قوتها وعزتها ومنعتهـا وقـدرتها على تحرير شعوبها وتحطيم الأغلال والقيود المكبلة بها .

ومن مقام عبوديته انطلق ليقاتل أمريكا وكل القوى المستكبرة و(إسرائيل) ونظام الشاه، ولهذا لم يعرف الخوف من كل هؤلاء إلى قلبه سبيلاً، بل على العكـس مـن ذلك أخاف الله منه كل أولئك، فانقلبوا من مواقع الهجوم إلى الدفاع فـي مواجهـة صوته الهادر المدوي بالحق الصادح بما هو مأمور به .

ومن مقام عبوديته الخالصة لله عزّ وجلّ رفض الاستعباد الذي تعيشه الأمة حكاماً ومحكومين أمام جبروت وطغيان القوى الاستكبارية، فلم يترك فرصة أو مناسـبة إلا ويؤكد ويعيد ويكرر على مسامع الأمة أن تحرر نفسها من قيـود الخـوف والتبعيـة، وتنطلق للسير مع الله، لأنه الأضمن لها والأحفظ لحقوقها والأكرم لإنسانها ووجودها.

ولهذا نرى أن الإمام ـ من موقع عبوديته هذه ـ أخذ الكثير من المواقف التي لـم يجرؤ غيره على أخذها بسبب ضعفهم وذلهم واسـتعبادهم ورضـاهم بـان يهزمـوا أنفسهم قبل أن يهزمهم العدو بقوته! فمن مواقفه المشهورة: وقوفه بمواجهة مـشروع فهد الخياني للصلح مع (إسرائيل) والاعتراف بها، ومنها موقفه من ضرورة اسـتمرار الحرب ضد النظام البعثي العراقي بعد فرضه الحرب على الإسلام وجمهوريته، ومنها موقفه قبل كل هذا ومعه وبعده من أمريكا والتصريح بأنها اعجز من أن تقـوم بـأي

عمل ينتقص من قدرة الإسلام والأمة، ومن مواقفه القبول بالقرار ٥٩٨ الذي أوقف الحرب مع العراق، وفتواه الشهيرة بإهدار دم المرتد سلمان رشدي والتي مازالت ترعب دول الاستكبار العالمي وتجعلها تعيش القلق الدائم على حياة عميل رضي ان يبيع عزته وكرامته بثمن بخس لمستغليه وجلاديه.

ان روح العبودية التي تجلت في ذلك العبد الصالح الإمام الخميني (قده) هي التي تسللت منه وتسربت لتدخل قلوب أبناء هذه الأمة، فإذا بهم يحطمون كل القيود والأغلال ويهزمون كل عوامل الضعف الموهوم والعجز المصطنع في نفوسهم وقلوبهم ويقفزون فوق الواقع المرير الذي فرضته علينا التبعية للمستكبر المتعجرف ليبدأوا مسيرة جديدة مختلفة عن كل الفترات الماضية، وإذا بواقع الأمة يبدأ بالتغيير نحو صالح هذه الأمة وخيرها، وإذا بالمستكبر الذي كنا نخاف من وهم قوته يضعف وينهزم أمامنا وينكشف لنا يوماً بعد يوم كل جبنه وهزاله وفراغه من كل معاني الشرف والعزة والكرامة، وانه العدو الذي كان يصنع لنا الخوف في أنفسنا لنعيش الذل والهوان أمامه ولنكون الخاسرين عند الله وأنبيائه وأوليائه، بينما أراد الإمام (قده) لأمته أن تكون المسألة على عكس ذلك، فتعيش العزة أمام الأعداء والخضوع والعبودية لله عز وجل.

ولاشك أن استمرار الأمة بالسير في هذا الخط هو الكفيل بوصولنا إلى ما نريد من الأهداف، وخصوصاً إذا تأملنا في الكثير من الإنجازات التي تحققت حتى الآن بسبب سير الأمة في خط العبودية لخالقها ورفض الخضوع لكل الذين سببوا ومازالوا الآلام والمآسي للأمة في الفترة الماضية.

والحمد لله رب العالمين

الإمداد الغيبي عند الإمام "قده"

من الواضح جداً أن إلقاء الإنسان المسؤولية على الله وحده لإنجاز ما هو مطلوب منه أمر مخالف للإسلام، وكذلك الركون إلى المقاييس المادية البحتة، والاحتكام إليها مجردةً أمر غير مرغوب فيه، فالمسألة إذن هي بين الله والإنسان بمعنى أن يقوم هذا العبد المخلوق من جانبه بتهيئة كل الاستعدادات وتوفير كل الإمكانات المتوافرة لديه وفق القدرة، ثم يتكلُ على الله طالباً منه المددَ والعونَ، تماماً كما قال النبي (ص) لذلك الرجل الذي ترك ناقته (اعقلها وتوكل).

فالإمام "قده" قد أعطى هذه المسألة مساحة مهمة من فكره وقلبه وإيمانه واعتبرها ركناً أساسياً في المسيرة الجهادية للمسلمين، حتى انه يعتبر أن الحاكمية في الدولة الإسلامية هي للقدرة الإلهية الغيبية بالنسبة إلينا التي تحمي تلك الثورة من كل الأخطار التي تحيط بها ويقول في هذا المجال (إن الذي يحكم في إيران اليوم قدرة إلهية. انتبهوا إلى أنه هذه القدرة ليست بشرية، فأن يتحول وطن مثلاً دفعة واحدة ليس شيئاً مما يستطيع البشر أن يحققوه،... فهذه القدرة قدرة إلهية، إنها قدرة الله، والبشر ليسوا شيئاً يستطيع أن يواجه هذه القدرة لله). ويعطي مثلاً على ذلك هو فشل الغزو الأمريكي أيام كارتر من أجل تحرير موظفي السفارة الأمريكية الجواسيس ويقول "قده" (أولئك الذين لا يهتمون بالمعنويات ألا ينتبهون من سباتهم؟ ألا يؤمنون بهذا الغيب؟ هلاَّ يستيقظون! من الذي أسقط هليكوبترات السيد كارتر التي أرادت غزو إيران؟ أنحن الذين أسقطناها؟ الرمال هي التي أسقطتها، لقد كانت الرمال مأمورة من الله، وكانت الريح مأمورة من الله، ليجربوا ثانية).

ولا شك أن هذه القاطعية من الإمام "قده" بالمدد الإلهي الغيبي كان لها دور كبير في كل مراحل الثورة ما قبل الانتصار وبعده، وهذا مرجعه إلى اليقين التام عند ذلك العبد الصالح المطيع لله ورسوله (ص) بأن الإنسان عندما يتوجه إلى الله بعمله وجهاده ووقوفه في وجه الظلم والظالمين، فإن الله لن يتركه فريسة لأولئك الأعداء للخط الإلهي، بل سيحميه ويأخذ بيده ويعينه من حيث يحتسب ومن حيث لا

يحتسب، لأن الله سبحانه قد قال في كتابه ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ وكثير غيرها من الآيات التي تحمل نفس المعنى.

إلا أن للمدد الغيبي شرطاً أساساً وهو أن يعيش المؤمن الثقة المطلقة بأن الله لن يخذله وسينصره حتماً إن هو أعطى كل ما عنده، وهذه الثقة لابد منها ولا ينبغي للمؤمن أن يغفل عنها لحظة، أو أن يشك في المدد الغيبي الإلهي مهما تراكمت الصعاب وكثرت الابتلاءات، إذ لعل كل ذلك هو المقدمة للنصر والتأييد الإلهيين، وهذا ما نجده عند الإمام "قده" حيث يقول (إن مع هذه الأمة حماية غيبية، فأنتم بالحماية الغيبية تسيرون قدماً، وإلا فأنتم بأنفسكم لا تملكون الإمكانيات لذلك)، ويستشهد على ذلك بانتصار الثورة الذي تحقق بمجرد أن ثار الشعب المسلم في إيران وردد شعار "الله أكبر" وبسلاح الإيمان، يقول (إن الذي كان بيد أمتنا إنما هو (الله أكبر) وهو الإيمان... وهو الذي دفعكم إلى الأمام)، ويقول أيضاً (... إن هذه الروحية التي ظهرت عند أمتنا إنما كانت مسألة غيبية ظهر بواسطتها هذا التحول الروحي في مدة غير قصيرة).

وبهذا كله يؤكد الإمام "قده" أن النصر والغلبة هي للمرتبطين بالله عز وجل طالما أنهم يقومون من جهتهم بكل ما هم مكلفون به، والصبر على الشدائد والمحن التي قد يكون الصبر عليها شرطاً من شروط المدد الإلهي أيضاً، ولهذا يقول (وليطمئنوا إلى أنه في ظل الصبر والمقاومة وتنفيذ الأحكام الإسلامية يكون النصر والظفر للأمة... ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

أليست تلك الروح المطمئنة والنفس الواثقة التي كانت لدى إمامنا العظيم هي التي دفعته إلى الثورة؟ أو ليست هي التي انتقلت منه إلى كل أبناء الشعب المسلم في إيران، ومنه "قده" إلى كل أفراد هذه الأمة المنتفضة اليوم؟ ألسنا اليوم في واقع حركتنا نعمل منطلقين من الثقة بأن الله لن يتركنا طالما نحن معه نجاهد في سبيله ونقاتل؟ لقد كنا نقرأ القرآن قبل مرحلة الإمام الخميني "قده" وكنا نقرأ الابتلاءات والضغوطات التي قام بها الأعداء زمن النبي (ص) ضد دعوته الإلهية، ومع هذا كله

كنا نعيش اليأس والإحباط، فإذا بهذا العبد الصالح باليقين المودَع في قلبه يُحول أمة بكاملها إلى أمة مؤمنة بالمدد الغيبي، فتنطلق وتثور وتحقق المعجزات الكبيرة في الفترة الزمنية القصيرة التي تعجَّب منها الأقربون قبل غيرهم، ولهذا نرى الإمام "قده" وفي خضم مجريات ثورة الشعب المسلم في إيران ضد الشاه، وبينما الشهداء يسقطون بالعشرات والمئات والألوف يبشر الشعب بقرب الفرج وتذوق حلاوة النصر ويقول (إنني أبشركم جميعاً بالنصر، أنتم وإخوانكم الذين يعيشون داخل الوطن تحت وطأة الحكم البوليسي وفي أقبية السجون والذين يعانون البؤس والحرمان والظلم...)، فيعطي نور الأمل والحياة من قلب الحدث المأساوي الذي يراد له أن يقتل الإنسان إرادياً فيسقط، ولا يعود على ثقة من القناعات الإيمانية ويرضخ للقناعات المادية المزيفة ويخسر وبالتالي كل شيء.

ونحن اليوم أليس الذي يحركنا اليوم في لبنان كمقاومة للاحتلال، ومعارضة للسلطة، والوصول إلى المقام المعنوي الكبير عند الأمة الإسلامية هو ذلك المدد الغيبي؟ فأين سلاحنا المادي؟ وأين إمكانياتنا التسليحية الضخمة من الدبابات والطائرات والصواريخ، إن سلاحنا الأساس والأقوى هو استنادنا إلى ذلك المدد الإلهي الغيبي الذي زرعه فينا قناعةً وإيماناً ثابتاً ويقيناً غير متزلزل الإمام الخميني "قده" الذي رأينا فيه رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وكل الجيل الأول الذي عاصر الإسلام في بداياته وانتصر بقيادة النبي (ص) في بدر وهم القلة على قريش وهي الكثرة بالمدد الغيبي والعون الإلهي الذي يجعل من القلة قوة لا تُقْهَر في مقابل أعتى القوى العسكرية والتسليحية في العالم.

والحمد لله رب العالمين

ارتباط العرفان بالواقع

لقد كان من المتسالم عليه عند مجمل سالكي الخط العرفاني الابتعاد عن الحيـاة الاجتماعية العامة، نظراً لما تحتويه من انحرافات شتى باعتبارها من معوقـات بنـاء الذات والوصول بها إلى مراتب الصفاء والمكاشفة.

ويقوم مسلك العرفان على توجّهين: سلبي: ويتمثل بمجاهدة الـنفس وترويـضها عبر تعذيبها وحرمانها من أكثر النعم الدنيوية المباحة، والاقتصار على أقل القليل في هذا الجانب. وإيجابي: ويتمثل بالرياضات الروحية كالصلاة والصيام وقراءة القـرآن والأذكار والأوراد والأدعية.

وهذه العملية بلا شك هي عملية شاقة ومضنية وتحتاج إلى صرف أوقات طويلة من العمر، وقد لا يستطيع البعض إكمال السير في هـذا الطريـق، وعنـد الوصـول يتجنب سالك خط العرفان الحياة العامـة والقـضايا العامـة للأمـة علـى المـستوى السياسي والاجتماعي، لأن هذه القضايا خارج اهتماماته، وهي عمل الذين لم يصلوا في تربية نفوسهم إلى ذلك المقام.

ولهذا كنا نرى التقديس والاحترام للعرفانيين من قبل الجميع، "حاكمين" باعتبـار أنهم مرتاحون من تدخل هذه الفئة في الشؤون العامة، و"محكومين" باعتبار أن مقام العرفانيين يشكل مرجعاً مهماً للناس على مستوى البركة من خـلال التـردد علـيهم واستلهام النصائح منهم في القضايا التي تهم الأفراد.

إن هذا النهج المتعارف للمسار العرفاني كان محل رفض عند الإمام (قده)، وهذا الرفض لم يكن من غير سالكي هذا الخط، وإنما هو رفض الخبيـر بهـذا المـسلك وبكل طرقه وأساليبه التي كان مطلعاً عليها بدقة عكسها في الكثير من خطبه وبياناته التي ينتقد فيها هذا التوجه السلبي لأهل العرفان، وترك الـساحة العامـة للمنـافقين والانتهازيين والوصوليين.

من هنا نراه يقول بوضوح: "يعمدون بخبث وشيطنة إلى الدفاع عن قداسة الإسلام فيقولون إن الإسلام وسائر الأديان الإلهية يهتمـون بالمعنويـات وتهـذيب النفـوس

والتحذير من المراتب الدنيوية والدعوة إلى ترك الدنيا والاشتغال بالعبادات والأذكار والأدعية التي تقرب الإنسان من الله، والحكومة والسياسة وفن الإدارة أمور مناقضة لتلك الغاية وذلك الهدف الكبير والمعنوي.. حيث إن هذه جميعاً لبناء الدنيا وذلك مناقض لسيرة جميع الأنبياء العظام".

ان الأساس الذي انطلق منه الإمام (قده) لسلوكه العرفاني هو ما قاله في وصيته لولده السيد أحمد وهو "ما هو أساس نجاة البشرية واطمئنان القلوب، هو التحرر والانقلاب من الدنيا وتعلقاتها، ويحصل ذلك بالذكر الدائم لله".

إلا أنه (قده) كان يرى أن هذه الحالة العرفانية هي التي ينبغي أن تكون في مقام خدمة الدين والأمة نظراً لمؤهلات أبنائها وسالكي طريقها، ولذا نراه يستشهد بالأنبياء والأئمة (ع) وأنهم جاهدوا وقاوموا الطغاة من مواقعهم العرفانية فيقول: "سيرة الأنبياء العظام (ع)، والأئمة الأطهار (ع) الذين هم صفوة العارفين بالله والمتحررين من كل قيد وغل والمتعلقين بالساحة الإلهية هي القيام ضد الحكومات الطاغوتية (فراعنة الزمان)، وقد عانوا الآلام من أجل اجراء العدالة في العالم وبذلوا الجهود التي تلقننا الدروس.. وإذا كانت لنا عين بصيرة وأذن سميعة فسنجد فيها ما يفتح أمامنا الطريق... من أصبح ولهم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم".

وكان الإمام (قده) يريد أن يضع قواعد للمسلك العرفاني تخالف ما كان عليه، ويقوم عنده على الأسس التالية:

أولاً: التحرر من كل العلائق الدنيوية للارتباط بالله ارتباطاً صادقاً مخلصاً.

ثانياً: العرفان هو سلوك خط الأنبياء والأئمة (ع)، أي المرتبط بأصول الشريعة، وليس كل تلك الطرق التي ابتكرها وابتدعها الكثيرون ممن سلكوا هذا الخط.

ثالثاً: إن العرفاني هو الذي يسخر تلك الحالة المعنوية لخدمة الدين والأمة عبر جهاده بالكلمة واليد ضد الانحراف والفساد، وليس العرفاني هو المنعزل عن الحياة العامة.

لهذا نرى الإمام (قده) يعطي الميزان والحد الفاصل بين الخط العرفاني الموافق للإسلام والمخالف له فيقول: "لا الاعتزال الصوفي دليل الارتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحق؛ فالميزان في الأعمال هو دوافعها. فكثيراً ما يكون العابد والزاهد مبتلى بشرك ابليس وهو يوسع ذلك الشرك بما يناسبه من الأنانية والغرور والعجب والتكبر وتحقير خلق الله والشرك الخفي وأمثال ذلك مما يبعده عن الحق ويؤدي به إلى الشرك. وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافع الهي فيحظى بمعدن قرب الحق كداود النبي وسليمان النبي (ع) وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم (ص) وخليفته الحق علي بن أبي طالب (ع) وكالإمام المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء...".

وهكذا فتح الإمام (قده) باب العرفان على الواقع ومزجه به بطريقة إيجابية يسعى فيه العرفاني من موقعه الايماني إلى الاندماج بالحياة الاجتماعية العامة في محاولة لتصحيح المسار الإنساني واستقامة السلوك نحو الحق المطلق تبارك وتعالى.

والحمد لله رب العالمين

قوة الالتزام بالتكليف

ورد عن رسول الله (ص) عندما توجه إليه الخطاب من الله سبحانه في سورة "هود" بقوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾ أنه قال "شيبتني سورة هود". والسبب في قول رسول الله (ص) هذا هو أمر الله إليه بالاستقامة في طريق الحق والهدى.

ولا شك أن الاستقامة هي عبارة عن التزام جادة الشريعة وعدم الانحراف عنا لأي سبب من الأسباب، وهذا لا ريب يحتاج إلى الكثير من القوة في الإيمان، والشدة في الموقف، والصبر في مواجهة الشدائد، والإرادة في مواجهة الانحراف والمغريات.

ولعل من أبرز وأوضح معاني الاستقامة هو التزام التكليف الشرعي الدقيق بقوة وثبات تجاه أية قضية مما ترتبط بالشأن الفردي الخاص أو بالشأن الاجتماعي العام، بحيث يوطِّن الإنسان المسلم نفسه وكل كيانه ووجوده لتطبيق حكمه وممارسته

بغض النظر عن النتائج التي يمكن أن تحصل سلبية كانت أو إيجابية، لأن التزام التكليف هو أحد ابرز مصاديق ومعاني الانتماء إلى خط الرسالة الإسلامية بأبعادها المختلفة.

من هنا نرى أن الإمام الخميني "قده" يعطي قضية الالتزام بالتكليف أهمية عظيمة جداً ويعتبرها عنواناً للإسلام وشعاراً للمسلمين، ولا يمكن تحقيق الأهداف الإلهية إلا عبر هذا الطريق ولو كان في سلوكه الصعاب والمشقات وتنوع الابتلاءات.

ويقول الإمام "قده" في هذا المجال (الأمر الأول الذي وجهه الله تعالى والذي كان "ثوروا في سبيل الله وقد أطعتموه، وبقي الأمر الثاني وهو "استقامتك يا رسول الله أنت والأمة" حافظوا على هذه الثورة، حافظوا على هذا التحول الروحي الذي حصل، استقيموا... إذا استقتم فإنكم سوف تفشلون هذه المخططات، وإذا لم تحافظوا على هذا التحول فربما ينتصر العدو لا سمح الله. احفظوا هذا التحول الإنساني الذي كان هو أساس انتصاركم حتى تصبحوا منصورين).

لهذا يعتبر الإمام "قده" أن الالتزام بالتكليف في الأحوال كلها هو امتحان صعب ويقول (إن الامتحان في الأمن والممتلكات والثروة والرئاسة وأمثال ذلك أعظم من الامتحان في نقص الأولاد والأنفس...).

ومن هنا يعتبر الإمام "قده" أن التزام التكليف بحاجة إلى تزكية النفس وتهذيبها وصقلها بالمجاهدات الروحية والأفعال الإيمانية وبحضور القلب الدائم لأن هذه التزكية هي التي تجعل النفس مروضة ومستعدة لالتزام التكليف مهما كانت آثاره، ويقول "قده" (إذا أراد أحد أن يهذب نفسه، فإن التهذيب لا يتم بالعلم وحده، لأن العلم لا يهذب نفس الإنسان. إن العلم قد يوصل الإنسان أحياناً إلى جهنم، حتى ولو كان علم التوحيد أو العرفان أو الفقه والأخلاق، فبالعلم لا يتحقق شيء، إذ انه يحتاج إلى التزكية، فالمقصود من قوله تعالى "يزكيهم" هو أن التزكية مقدمة على كل شيء).

وأبرز تكليف يراه الإمام ″قده″ أساساً لحياة الأمة الإسلامية هو مواجهتها للقوى المستكبرة، أي التزام تكليف الجهاد والحفاظ عليه والاستمرار في القتال ضد كل الذين يكيدون للإسلام والمسلمين، ويقول في هذا المجال (يجب أن لا نخاف من الحرب والإرهاب أبداً. لماذا نخاف؟ نحن مكلفون ونعمل بتكليفنا ونحن محقون، عندما نكون محقين فلماذا نخاف؟ إنها تلك الكلمة التي قالها علي بن الحسين لولده (ع)، ـ بعد ما قال له سوف تقتلون ـ قال ألسنا مع الحق؟ قال: نعم نحن على الحق، قال: إذن لماذا نخاف؟ لم يعد عندنا خوف).

ولهذا نجد أن الإمام ″قده″ أثناء مجريات الثورة ومع سقوط الشهداء التي وصل تعدادها إلى عشرات الآلاف لم يخفف من حرارة الثورة ولا من اندفاعة الجماهير حتى سقط الشاه بعد فراره وانتصرت الثورة، فلم ترعبه كثرة الدماء التي سالت، بل كان جوابه كجواب جده أمير المؤمنين (ع) لمعاوية (أما من أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطن فإلى النار). وكذلك موقفه من الحرب المفروضة التي دفعت أمريكا وأذنابها العراق إلى شنها ضد جمهورية الإسلام الفتية، وبينما كان المتآمرون يأملون... بسقوط الثورة أو استسلامها على الأقل، وقف الإمام ″قده″ ليقول (لن نخفض حرارة الحرب في وطننا سوى بسقوط صدام)، ثم يعطي الإمام الموقف الحاسم تجاه تكليف مواجهة المستكبرين وخصوصاً أمريكا فيقول (يجب أن يعلم العالم أن إيران قد وجدت طريقها وأنها سوف تواصل الجهاد غير القابل للصلح ضد أمريكا الحاقدة على مستضعفي العالم حتى تقضي على مصالح أمريكا ناهبة العالم...).

إلا أن الإمام ″قده″ يعتبر أن هناك شرطاً رئيسياً للالتزام بالتكاليف الكبيرة من هذا الحجم وهو المصلحة العليا للإسلام والمسلمين ويقول (عندما يرى الإنسان أن أحكام الإسلام في خطر فيجب عليه أن يثور لله، فإذا استطاع فإنه يكون قد عمل بوظيفته ويكون قد أحرز تقدماً، وإذا لم يستطع فإنه يكون على الأقل قد عمل بتكليفه الشرعي).

ولهذا وجدنا أن الإمام "قده" أنه في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى استمرار الحرب ضد النظام العراقي، أصدر موقفه التاريخي بالموافقة على قرار الأمم المتحدة القاضي بوقف الحرب، والسبب أن التزام التكليف مراعى بالمصالح العليا للإسلام، وعندما وجد الإمام أن استمرار الحرب سيكون ضد مصلحة الإسلام آثر مكرهاً على القبول ولو كان هذا الموقف على خلاف رغبته وإرادته، فالمصلحة العليا حاكمة ولها الأولوية.

وهذا كله ينبغي أن يعملنا أن التزام التكليف ليس مجرد شعار نرفعه لكي نتغنى به، وإنما هو الوسيلة لإبراء الذمة عند الله أولاً، وللدافع عن الإسلام ومصالح الأمة ثانياً، وللعيش بحرية وكرامة وعزة ثالثاً.

نسأل الله التوفيق لنا وللمجاهدين والعاملين التوفيق للالتزام بالتكليف حتى نيل إحدى الحسنين كما كان يعبر الإمام "قده" ـ النصر أو الشهادة ـ

والحمد لله رب العالمين

أخلاقية القيادة عند الإمام "قده"

من المواصفات المهمة التي تميزت بها شخصية الإمام الخميني "قده" هي تمتعه بنفس عالية مقتدرة جعلته متمكناً من أن يعيش الزهد والبساطة بأوضح وأجلى صورهما، وهذا ما لعب دوراً مميزاً في جعل الناس مؤمنة به أكثر ومستعدة للبذل والعطاء لمجرد الإشارة الدالة منه على ذلك.

ومما لا شك فيه أن الأخلاق كسلوك ضرورة لا بد منها في المسار العملي لمن كان في منصب قيادي وخصوصاً لجماعة المؤمنين بالإسلام، لأن هذا الدين يفرض نظرياً وعملياً سلوكاً رفيع المستوى ممن هم في تلك المناصب ليفرضوا بذلك احترامهم على أتباعهم من خلال نموذج حياة يصلح لأن يقتدي به الأتباع.

وهذا السلوك الأخلاقي قد استطاع الإمام "قده" أن يجسده بطريقة جعلتنا نعيش عصر النبي (ص) والأمير (ع) والأئمة (ع) فاختصر بذلك الزمن وطوى القرون، مما

جعل الناس تقارن ما بين حياة ذلك القائد الرباني المتواضع والملهم وبين حياة أولئك الجبابرة الذين يعيشون الترف والبذخ على حساب أموال الأمة وثرواتها ويصرفون الكثير من تلك المواد على منافعهم الشخصية وشهواتهم الشيطانية، وكل ذلك بدعوى أنهم حكام مسلمون.

وبالرجوع إلى النصوص التي تركها الإمام "قده" في هذا المجال نرى تركيزه الأكيد وتصميمه الشديد على كل أصحاب المواقع القيادية بان يكونوا بسطاء في عيشهم، ومقتصدين في احتياجاتهم، ومراعين لأوضاع الناس الفقراء والمحتاجين العاجزين عن تأمين لقمة العيش إلا بشق الأنفس، ويقول "قده" (يجب أن يعيش أئمة الجمعة الحياة البسيطة كما يعيش الناس، وأن يأمروا الناس في خطبهم بالتقوى... حاولوا أن لا تتجاوزوا في حياتكم زي الطلبة، وإذا ارتفعتم من الناحية المعيشية فوق مستوى الناس فاعلموا أنكم سوف تطردون عاجلاً أم آجلاً).

إن الميزة العظمى للإمام الخميني "قده" في هذا الجانب الأخلاقي الرفيع، هو أنه التزم سلوكاً أخلاقياً متسامياً من موقع حاكميته وقيادته للأمة، وليس من موقع كونه رجل دين فقط، وهذا لعله أعظم أثراً وتربية وأنموذجية للناس، لأن بساطة العيش التي كانت عند علمائنا، إنما لأجل أنهم يحملون التراث الإلهي المحمدي الإمامي، ولم يكونوا في موقع القيادة والسلطة المباشرة، فلم يبتلوا بمسؤولية القيادة عبر العصور، ونحن لا نشك بأن علماءنا كانوا سيلتزمون أيضاً بهذا السلوك الجميل في حال وصلوا إلى مرتبة القيادة، إلا أنهم لم يصلوا، والإمام "قده" له فضل السبق في هذا الأمر الخطير الذي أراد له أن يكون خير معين وناصر لمن يتولون أي منصب قيادي في الدولة الإسلامية التي لا يمكن لمن يقود الأمور أن يعيش الترف والبذخ منفصلاً عن شعبه وأمته وعن كل ما يمكن أن تعاني منه في هذا الجانب الحساس والمؤثر سلباً أو إيجاباً تبعاً لطريقة عيش الفئة القيادية.

ولهذا نراه "قده" يؤكد المرة بعد الأخرى، فتارة يخاطب النواب وأخرى أئمة الجمعة والجماعة، ونراه يحذر المسؤولين جميعاً ومن هم في موضع القدوة للأمة أن

لا يجعلوا الدنيا أكبر همهم ويقول (إن الأمة تتوقع منكم... أن تكونوا مؤدبين بآداب الإسلام، وأن تكونوا حزب الله، وأن لا تهتموا ببهارج الدنيا وزخارفها، وأن لا تبخلوا عن بذل كل ما تستطيعونه في سبيل إعلاء كلمة الإسلام وفي خدمة الأمة الإسلامية،... فإذا رأت الأمة منكم خلاف ذلك، ورأت أن همكم ليس هو التوجه إلى قوى الغيب بل كل همكم هو الدنيا والمصالح الشخصية كما يفعل الآخرون... إذا رأتكم متنازعين على الدنيا ومتخاصمين في أهوائكم وقد اتخذتم الدنيا متجراً من أجل الوصول إلى الأغراض الدنيوية الدنيئة... فإن الأمة سوف تنحرف حينئذٍ وسوف تسيء الظن بكم وتصبحون أنتم المسؤولين عن ذلك حينئذ).

إن نظرة الإمام "قده" في هذا الأمر هو أن يقتصد المسؤولون في أمور حياتهم على الضروريات "أي التي لا يمكن الاستمرار بدونها"، وأن يتركوا الكماليات التي لا تشكل ضرورة، بل يمكن أن تكون ذا أثر سلبي عليهم وعلى نظرة الناس إليهم، كما يطلب من جميع أصحاب مواقع القدوة إلى أن يأمروا الناس أيضاً بالاكتفاء ما أمكن بالمسائل الحياتية الضرورية ويقول "قده" (... وأن يوصوهم بمساعدة اقتصاد الدولة الذي هو اليوم من أهم الأمور، بأن يجتنبوا الإسراف والتبذير والإنفاق على الكماليات والتجمليات).

ولا ريب أن بساطة العيش المستحبة شرعاً على كل المستويات ومن كل المستويات ومن كل طبقات المجتمع هي خير معين ومساعد لأي شعب في الصبر والاستمرار في الخط الرسالي عندما تلجأ القوى المعادية لمحاربته في لقمة عيشه محاولةً إسقاطه أو محاصرته لرفضه الرضوخ لإرادتها والانصياع لأوامرها، وقد لمسنا مدى الصلابة التي واجه بها الشعب المسلم في إيران كل المؤامرات الاقتصادية واستطاع أن يهزم كل الذين أرادوا إسقاطه بهذا الأمر.

والإمام "قده" قد استطاع تهذيب نفسه وتأديبها بهذا تماماً كما أوصى أمير المؤمنين (ع) في كلمته الخالدة (من أراد أن يُنصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، فمؤدب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم): وقد سمع الإمام "قده" قبل هذا ومع وبعده قول الله تعالى لنبيه (ص) ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

من أجل كل ذلك دخل الإمام القلوب واستوطن النفوس فحررها من أسر الـدنيا وجعلها تتعلق بساحة القدس الإلهي، تدافع وتقاتل وتقتـصد وتـضحي فـي سـبيل الإسلام، فنقل بكل ذلك الأمة من مواقع الارتماء في أحضان الدنيا الفانية المتهالكة أمام مغرياتها، إلى أمة تصغر الدنيا في عينيها لأن الخالق كبر في نظرهـا، فانطلقـت إلى مواقع العز والشرف والكرامة والحرية والعزيمة متخلية في سبيل ذلك عن كـل ما يعيق حركتها وعملها، والفضل كله لذلك القائد الرباني العارف الذي أدَّب نفـسه فأدَّب الأمة وحقق لها وجودها.

والحمد لله رب العالمين

خمينيون رغم أنف أمريكا وإسرائيل

(إن علماء الإسلام مكلَّفون بأن يدافعوا عن الأحكام الإسلامية الثابتة والواضـحة للإسلام، وبأن يحموا استقلال الدول الإسلامية ويظهروا نفورهم من الظلـم والقهـر، واستياءهم من التحالف مع أعداء الإسلام والاستقلال والدول الإسلامية، وأن يعلنوا براءتهم من إسرائيل وعملاء إسرائيل أعداء القرآن المجيد وأعداء الإسلام والوطن، وعليهم أن يتألموا من هذه الإعدامات الجماعية والمحاكمات غير القانونية والأحكام الباطلة، وأن يبينوا دائماً مصلحة الشعب، (هل إذا فعل علمـاء الإسـلام ذلـك هـو جريمة؟)، (هـل هـذا رجعيـة سـوداء؟)، إنهـم يـصفون التبليـغ الـديني وفـضح الاعتداءات... بأنها رجعية سوداء ويمنعونها، المحافل الدينية والتجمعات المذهبيـة تحتاج إلى ترخيص والمسيرات الحسينية لسيد الشهداء (ع) محظورة.

نحن مستعدون للدفاع عن الإسلام والبلاد الإسـلامية واسـتقلالها. برنامجنـا هـو برنامج الإسلام، وحدة كلمة المسلمين، واتحاد الدول الإسلامية والأخوَّة مع جميـع فرق المسلمين وعقد المعاهدات مع جميع الدول الإسلامية في جميع أنحاء العـالم ضد إسرائيل والصهيونية والدول الاستعمارية).

هذا النص قاله الإمام الخميني المقدس بتاريخ الخامس من حزيران سنة ١٩٦٤، بمناسبة الذكرى السنوية الأولى للمجزرة الدموية التي ارتكبها شاه إيران ضد الشعب المسلم في إيران في انتفاضة (١٥ خرداد) التي كانت بداية حركة الإمام "قده" ضد النظام الشاهنشاهي البائد.

ولا ونبالغ في القول إذا ما رأينا أن هذا النص وكأن الإمام "قده" يقول الآن بعد أكثر من ثلاثين عاماً على صدوره منه.

إذ نرى اليوم في عالمنا الإسلامي أن العاملين في سبيل الإسلام وعلى رأسهم العلماء والمفكرون المنوط بهم توضيح الإسلام وتقريبه إلى القلوب والعقول أصبحوا بنظر الأعداء هم الدعاة إلى الرجعية والتخلف وإيقاف التطور المزعوم نحو الديمقراطية وإقرار حقوق الإنسان وضد تحرر المرأة والأغلال المحبوسة ضمنها، وأصبح الجهاد ضد أعداء الأمة إرهاباً وتدميراً وإخلالاً بالسلام والأمن الدوليين، وبات استياء أبناء الأمة من الحالة المأساوية والظروف الضاغطة التي يمر بها المسلمون اليوم هو حرب موجهة ضد استقرار المنطقة وتطورها المستقبلي الموهوم، وصار إعلان البراءة من إسرائيل جريمة لا تغتفر في عالمٍ سقط أمام جبروت الاستكبار الأمريكي واستسلم للقدر الذي تصنعه له القوى الكبرى في العالم والتي تديرها جميعاً من خلف الستار الصهيونية العالمية، كما أن الاعتراض على الظلم والقهر الذي تمارسه الأنظمة ضد شعوبها في عالمنا الإسلامية من كبائر الذنوب والجرائم التي يستحق المعترضون فيها السجن أو التهذيب أو النفي وحتى القتل باسم الحفاظ على الإنجازات والتقدم والرقي.

إن الإمام الخميني "قده" الذي غاب عنا جسده، لكنه ما زال حاضراً بيننا بهذه الكلمات النورانية النابعة من قلب واعٍ مخلصٍ خدمه أمته بصدق وتفانٍ وإيثار، واستطاع أن يأخذ بيدها لكي تسلك سبيل النجاة والحرية، فاتبعت نهجه بعدما لمست منه الوفاء فيما عاهدها به من الجهاد في سبيلها، وبدأت تدرك كل الواقع المأساوي الذي تعيشه بسبب القهر الاستكباري والظلم الذي تمارسه الأنظمة

الحاكمة، وانطلقت مهتدية بتراثه الذي ما زال ينبض بالحياة وسيبقى كذلك إلى أن تحقق هذه الأمة آمالها وتتخلص من كل آلامها وعذاباتها التي تتخبط فيها، والغصص التي تتجرعها بسبب الاستكبار وربيبته جرثومة الفساد "إسرائيل".

لهذا كله نقول (إن الخميني لن يغيب وسيبقى الملهم والقائد والموجه، فهو الحاضر في القلوب والعقول أبد الدهر، ينير طريقها ويوضح دربها ويشد على أيدي أبناء الأمة كلما ازدادت حدة المواجهة).

من هنا نقول لكل الأعداء الذين يريدون القضاء على الخميني بعد الخميني "قده": إن سعيكم وكيدكم ومؤامرتكم لن توقف المد الخميني المتعاظم، ولن تحملوا ولن تصلوا إلى اليوم الذي ترون فيه ذلك، لأن التيار الخميني الهادر أصبح أكبر من أن تحاصره أحقادكم أو توقفه السدود الموهومة التي تبنونها لكي تقوم بذلك.

يغتال مبارك في الحبشة فيتهمون إيران الإسلام بذلك، ويفجر المجاهدون الإسلاميون أنفسهم بجنود العدو الإسرائيلي في أرضنا المحتلة فيرمون بالمسؤولية على إيران الإسلام، وتقوى المقاومة الإسلامية في لبنان ضد العدو الأول للأمة الإسلامية فتلقي إسرائيل اللوم على إيران، بل تصور للعالم أن الإيرانيين هم الذين يقاتلون هذا العدو الغاشم المحتل لكي يقولوا من خلال ذلك إن العرب قوم يريدون السلام مع إسرائيل ولا يريدون الحرب والقتال والجهاد.

إننا في هذا الجو الضاغط نقول للإمام الخميني المقدس: سيبقى نورك يهدينا سواء السبيل، وسيظل صوتكم المحمدي العلوي الحسيني المقاوم يهدر في آذاننا حتى لا نغيب لحظة أو ننسى أننا نقاوم ونقاتل، وسنبقى كذلك حتى آخر نقطة دم وحتى آخر نفس فينا.

نم قرير العين أيها الإمام العظيم، أيها العارف الملهم، فقد صنعت أمة وأسست تاريخاً لن تتخلى الأمة عنه بتلك السهولة، وهي حاضرة لتدفع الكثير الكثير لإكمال الدرب الذي بدأته وبنيت المدماك الأول منه ليكون فاتحة الخير لحاضر ومستقبل هذه الأمة العظيمة المعطاء.

والحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب